مغامرة المترجم اليوناني

مغامرات شيرلوك هولمز

مغامـــرة

المترجم اليوناني

تأليف

آرثر كونان دويل

ترجمة

محمد يحيى عبدالكريم

أرثر كونان دويل

ولد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩م، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً وكان من مدرسيه في الكلية الجراح الشهير الدكتور جوزيف في، وهو الذي أوحى إليه شخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢م حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جراحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملا في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلات الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت

روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا ولد شيرلوك هولمز في رواية (دراسة قرمزية) التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧م.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية!

وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى.

وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حل المشكلة سريعاً إذ قال:

(سوف تجدون رجلكم في غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولما كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بد أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل)- وقد عثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.

وفي عام ١٩٠٠م تطوع الدكتور دويل في حرب البوير (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجراحين في واحد من المستشفيات الميدانية.

وفي نهاية الحرب منح وسام الفروسية ولقب (سير) تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته إلى إنجلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام

١٩٣٠م بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

شيرلوك هولمز وعالمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهر الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرة مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بل الذي درسه في كلية الطب. كان الدكتور بل يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومهنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً:

(أنت ضابط سرح من الجيش حديثاً، وقد عدت لتوك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل). وبعد أن تسيطر الدهشة على

المريض والطلبة على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

(ولد) شيرلوك هولمز في عالمه الخيالي- سنة ١٨٥٤م وحصل على شهادة جامعية لم يحددها دويل، ثم احترف مهنة (محقق خاص) منذ نحو سنة ١٨٧٨م، وكان يقيم في شارع في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو (٢٢١ ب). وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في

قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو راوية القصص الذي يقصها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب ولد نحو سنة ١٨٥٢م وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨م، ثم انضم إلى الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١م، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦م، لكن دويل لم يشأ أن يعرفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة (المشكلة الأخيرة) التي نشرت في نهاية عام ١٨٩٣م (قتل) دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣م ليستأنف حل القضايا الغامضة.

قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩م، وهي قصة قصيرة عنوانها (إفادة السيد جفسون)، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت (دراسة قرمزية)، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧م فلم يكد يحس بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية (علامة الأربعة) التي نشرت عام ١٨٩٠م فوطدت شخصية هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١م) بدأ نشر مجموعة (مغامرات شيرلوك هولمز) في حلقات شهرية في مجلة (ستراند)، بدءاً بقصة (فضيحة في بوهيميا) التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه

الشخصية الخيالية التاريخ من بابه الواسع، حيث صارت حديث المجتمع وشغل الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتي عشرة نشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢م. ثم ظهرت سلسلة (ذكريات شيرلوك هولمز) التي نشرت في اثنتي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢م، ويبدو أن دويل بدأ يمل عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك (قتله) في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرير عند شلالات رايشنباخ في سويسرا! وقد نشرت هذه القصة (وعنوانها (المشكلة الأخيرة)). في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣م.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على (بعث) شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة (مغامرة المنزل الخالي) التي نشرت في

مجلة (ستراند) في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣م.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبين أنه لم يقتل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شق طريقه بعد ذلك إلى بلاد التبت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة (ستراند) في بريطانيا ومجلة (كوليرز) في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشاقه المخلصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة (عودة شيرلوك هولمز) (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤م.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة رواية شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة (كلب عائلة باسكرفيل)، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١م إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢م، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة (الظهور الأخير) التي تضم سبع

قصص نشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨م وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣م، ثم الرواية الطويلة الرابعة (وادي الرعب) (٩/ ١٩١٤م-٥/ ١٩١٥م)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقاد. وأخيراً سلسلة (قضايا شيرلوك هولمز) (١٠/ ١٩٢١م-٤/ ١٩٢٧م) التي نشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومانسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي (العالم المفقود)، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر

مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سماه (ذكريات ومغامرات).

رسام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عدد من الرسامين، لكن أشهرهم وأعظمهم- بلا خلاف- كان الرسام الإنجليزي سدني باجيت الذي صاحب روايات هولمز وقصصه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بلور صورة شيرلوك هولمز وطبعها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسع ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصتي (جزيرة الكنز) و (روبنسون كروزو)، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الست الأولى التي نشرتها مجلة (ستراند) في النصف الثاني من عام ١٨٩١م، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت

بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨م، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زينت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة (ستراند) برسامين آخرين، فشارك في رسم السلسلة الجديدة (الظهور الأخير) كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة- وهي (قضايا شيرلوك هولمز)- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة (ستراند)، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة (كوليرز) بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دور ستيل، ومنهم وهـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

المترجم اليوناني

خلال مدة معرفتي الطويلة الوطيدة بشيرلوك هولمز لم أسمعه قط يشير إلى علاقاته أو إلى بداية حياته، وقد زاد هذا التكتم من الانطباع غير الإنساني الذي تولد في نفسي تجاهه حتى وجدت نفسي أنظر إليه كظاهرة متفردة، كعقل دون قلب، ذلك لأن تفوقه العقلي وذكاءه الخارق كان يكافئ عجزه عن إظهار أي تعاطف إنساني. لقد كان ذا شخصية باردة المشاعر اتفق أن اجتمع لها النفور من النساء مع العزوف عن عقد الصداقات.

ولم يكن ذلك كله ليعدل كتمانه أي معلومات عن أهله وخاصة عشيرته، حتى بت أعتقد أنه يتيم بلا أقارب... إلى أن أصابني بدهشة شديدة ذات يوم حين بدأ يتكلم عن أخيه!

كان ذلك بعد تناول الشاي في مساء أحد أيام الصيف حين دار

الحوار بيننا في موضوعات مختلفة، فانتقلنا من الحديث عن نوادي الغولف إلى ميل دائرة البروج، ثم تطرق الحديث أخيراً إلى أثر الوراثة في تكوين الصفات والملكات، وكانت النقطة التي رحنا نناقشها هي القدر الذي تساهم به الوراثة في تشكيل المواهب الفردية العظيمة التي نملكها والقدر الذي تساهم به الوراثة في تشكيل المواهب الفردية العظيمة التي نملكها والقدر الذي تساهم به الخبرة المبكرة في الحياة.

قلت:

بالنسبة إليك يبدو من الواضح- بعد كل ما أخبرتني به- أن الفضل في قدراتك في الملاحظة ووسائلك الغريبة في الاستنتاج يعود إلى تدربك المنظم وجهدك الشخصي.

أجاب بعد تفكير عميق قائلاً:

إلى حد ما، فقد كان أجدادي من كبار ملاك الأرض في الريف، ويبدو أنهم عاشوا حياة طبيعية بالنسبة إلى طبقتهم الاجتماعية، ولكن ربما حملوا في دمائهم عاملاً ورثته عنهم لأصبح ما أنا عليه الآن، ويمكن أن أكون قد ورثت ذلك عن جدتي التي كانت أخت فيرنيه

الفنان الفرنسي، والفن قد يجري في العروق ليأخذ أشكالاً غريبة.

– ولكن كيف عرفت أن الأمر وراثي؟

– لأن أخي ما يكروفت يملك هذه الموهبة بدرجة أكبر مني.

كانت تلك أخباراً جديدة بالنسبة إلى، فلو كان في إنجلترا رجل آخر يملك مثل هذه القدرات الرائعة فكيف لم يسمع به الناس؟!

طرحت السؤال وأنا ألمح إلى أن تواضع رفيقي هو الذي جعله يقر بأن أخاه يفوقه، وعندها سخر هولمز من تلميحي وقال:

يا عزيزي واطسون، أنا لا أتفق مع الناس الذين يعتبرون التواضع من الفضائل، فالمفكر الحقيقي يجب أن يرى حقيقة كل الأشياء كما هي، وتقليل المرء من قيمته يبعده عن الحقيقة بنفس القدر الذي تبعده به المبالغة في قدراته.

ولذلك فعندما أقول إن قدرات مايكروفت في الملاحظة أفضل من قدراتي فيجب أن تعرف بأنني أقول الحقيقة المطابقة للواقع تماماً.

– هل هو أصغر منك؟

– بل أكبر مني بسبعة أعوام.

– ولماذا هو غير مشهور إذن؟

– بل هو مشهور جداً ضمن محيطه وبيئته.

– أين مثلاً؟

– حسناً، في نادي ديوجينز على سبيل المثال.

لم أسمع بهذا النادي من قبل، ولا بد أن ذلك قد ظهر في وجهي، فقد سحب هولمز ساعته فنظر إليها ثم قال:

إن نادي ديوجينز من أكثر الأندية غرابة، وأخي يوجد هناك دائماً بين الساعة الخامسة إلا ربعاً والساعة الثامنة إلا ثلثاً.

إنها السادسة الآن، فإذا أردت أن تتمشى في هذا المساء الجميل فيسعدني أن أعرفك إلى تحفتين غريبتين.

بعد خمس دقائق كنا في الشارع متجهين إلى ميدان ريجنت. قال رفيقي:

أنت تتساءل لماذا لم يستخدم مايكروفت قدراته في العمل مخبراً

سرياً حسناً، إنه لا يقدر على ذلك.

– ولكنني ظننت أنك قلت....

– قلت إنه يفوقني في قوة الملاحظة والاستنتاج المنطقي، فلو كان عمل التحقيق يبدأ وينتهي من فوق كرسي مريح لكان أخي أعظم محقق على الإطلاق، ولكنه لا يملك الطموح ولا الطاقة.

فهو لن يبذل أي جهد ليثبت نتيجة تفكيره والحل الذي يتوصل إليه بل إنه يفضل أن يعتبروه مخطئاً على أن يتكبد مشقة إثبات صحة رأيه!

لقد أخذت إليه مشكلة بعد أخرى وتلقيت منه التفسيرات التي ثبتت صحتها فيما بعد، وبالرغم من ذلك فهو غير قادر على بذل مجهود في النقاط العملية التي يجب التحقق منها قبل أن توضع القضية أمام القضاء.

– إنها ليست مهنته إذن؟

– بالطبع؛ فالذي أعتبره أنا وسيلة للعيش يمثل بالنسبة إليه مجرد هواية لفنان. مايكروفت له قدرة استثنائية مع الأرقام، ولذلك فهو

يدقق في حسابات إحدى الإدارات الحكومية، وهو يسكن في شارع بول مول، وهكذا فهو يمشي حول الركن كل صباح حتى يدخل شارع وايتهول ثم يعود كل مساء إلى مسكنه، ومن عام إلى آخر فهذا هو التمرين الوحيد الذي يقوم به، ولا يراه أحد إلى في نادي ديوجينز الذي يقابل سكنه.

- لا أستطيع تذكر هذا الاسم.

- الاحتمال الأكبر أن لا تعرفه. إن بعض الناس لا يرغبون في صحبة الآخرين كما تعلم، إما بسبب الخجل أو بسبب بغض الاختلاط والخوف من الناس، ولكنهم مع ذلك يحبون المقاعد المريحة وقراءة المجلات.

وقد أنشئ نادي ديوجينز لتوفير الراحة لهؤلاء، وهو يضم الآن أقل رجال المدينة اجتماعية وحباً للاختلاط، وليس مسموحاً لأي من أعضائه بإبداء أدنى اهتمام بالأعضاء الآخرين، وغير مسموح بالكلام على الإطلاق إلا في غرفة الغرباء.

فإذا ارتكب أحد الأعضاء ثلاث مخالفات وانتبهت الإدارة إلى

أخطائه يكون المخالف عرضة للطرد. إن أخي هو أحد مؤسسي هذا النادي، أما أنا فقد وجدت جوه مهدئاً للأعصاب.

وصلنا إلى شارع بول مول في أثناء كلامنا، وحين اقتربنا من النادي توقف هولمز وحذرني من الكلام.

دخلنا بعد ذلك إلى صالة النادي، ومن خلال لوح الباب الزجاجي لمحت غرفة أنيقة واسعة يجلس فيها عدد من الرجال ويقرؤون الصحف، كل واحد في زاويته الصغيرة الخاصة.

قادني هولمز إلى غرفة صغيرة تطل على شارع بول مول، وبعد ذلك تركني قليلاً ثم عاد ومعه رفيق عرفت أنه لا يمكن أن يكون إلا أخاه.

كان مايكروفت هولمز أكثر ضخامة وقوة من شيرلوك؛ كان جسمه بالغ الضخامة، أما وجهه العريض فقد احتفظ بشيء من حدة الملامح التي تميز وجه أخيه، وكان لون عينيه رمادياً فاتحاً بدرجة غريبة ولهما نظرة عميقة ذاهلة ألاحظها فقط في عيني شيرولوك حين يبدأ في استخدام قواه الكاملة.

قال وهو يمد إليَّ يده العريضة:

أنا سعيد برؤيتك يا دكتور، فقد أصبح شيرلوك مشهوراً منذ بدأت بكتابة قصص مغامراته.

حسناً، لقد توقعت رؤيتك في الأسبوع الماضي يا شيرلوك لتستشيرني في قضية بين مالك العزبة، فقد ظننت أن الأمر أكبر من قدراتك قليلاً.

قال صديقي بابتسامة:

لا، لقد حللته.

- كان آدمز بالطبع.

- أجل، لقد كان آدمز.

- لقد كنت واثقاً من ذلك منذ البداية.

جلس الاثنان معاً تحت مشربية النادي المقوسة وقال مايكروفت:

هذه هي البقعة المناسبة لدراسة الجنس البشري. انظر إلى هذه النماذج الرائعة من البشر.... انظر إلى هذين الرجلين القادمين باتجاهنا على سبيل المثال.

– أتقصد الرجل الذي يسجل نقاط الفوز في لعبة البلياردو ومن معه.

– تماماً، ماذا تعتقد الآخر؟

توقف الرجلان عند النافذة، وكانت بعض آثار الجير العالقة على جيب معطف أحدهما هي علامة البلياردو الوحيدة التي استطعت رؤيتها، أما الآخر فكان رجلاً ضئيلاً داكن البشرة يرجع قبعته إلى الخلف ويحمل عدة رزم تحت ذراعه.

قال شيرلوك:

إنه جندي قديم كما ألاحظ.

أضاف أخوه قائلا:

وقد سرح حديثاً جداً.

– أرى أنه قد خدم في الهند.

– وهو من ضباط الصف.

قال هولمز:

أتخيل أنه من المدفعية الملكية.

- وهو أرمل.

- ولكن عنده طفلاً.

- بل أطفالاً يا ولدي العزيز.... أطفالاً.

قلت ضاحكاً:

على رسلكما، هذا مبالغ فيه قليلاً!

أجابني هولمز:

بالتأكيد ليس صعباً استنتاج أن رجلاً بهذه القامة وتعبير السلطة على وجهه وبشرته التي سفعتها الشمس هو جندي ذو رتبة وأنه قد جاء من الهند منذ وقت قريب.

أضاف مايكروفت قائلاً:

وقد عرفت أنه لم يترك الخدمة إلا من وقت قريب لأنه مازال يرتدي الحذاء العسكري.

قال شيرلوك:

ليست عنده خطوة الفرسان الواسعة، وبالرغم من ذلك فهو يرتدي قبعته على جانب واحد، وهذا يظهر من المنطقة الفاتحة اللون على ذلك الجانب من حاجبه، كما أن وزنه لا يسمح بأن يكون مهندساً عسكرياً، فهو في المدفعية إذن.

أضاف ما يكروفت:

بعد ذلك يظهر حداده الكامل أنه فقد شخصاً عزيزاً عليه، ويدل قيامه بالتسوق وحده على أنها زوجته، وقد كان يشتري أشياء للأطفال كما تلاحظ، ومن بين هذه الأشياء لعبة لطفل صغير جداً، فمن المحتمل أن الزوجة قد ماتت في أثناء الولادة، كما أنه قد اشترى أيضاً كتاب صور للأطفال مما يظهر وجود طفل آخر يفكر به.

بدأت أفهم ما عناه صديقي عندما قال إن قدرات أخيه الاستنتاجية تفوق قدراته. نظر شيرلوك هولمز إليَّ وابتسم، أما مايكروفت فقد قال:

بالمناسبة يا شيرلوك، عندي شيء سيعجبك، مشكلة شديدة الندرة عرضت عليَّ لإبداء الرأي فيها، ولكنني لا أملك القوة لمتابعتها إلا بطريقة غير مكتملة، ولكنها أعطتني أساساً لبعض التخمين المرضي،

فإذا كان يهمك سماع الحقائق.

– هذا يسعدني يا عزيزي مايكروفت.

كتب الأخ ملحوظة على صفحة من مفكرته، ثم دق الجرس ليعطي الورقة للنادل وقال:

لقد طلبت من السيد ميلاس أن ينضم إلينا. إنه يسكن فوق الطابق الذي أسكن فيه وتجمعني به معرفة بسيطة، مما جعله يلجأ إليَّ لأساعده في أمر يحيره.

السيد ميلاس من أصل يوناني كما فهمت، وهو عالم باللغات ويكسب جزءًا من معيشته من عمله مترجماً في المحاكم القضائية، والجزء الآخر يكسبه بعمله مرشداً لبعض العائلات الثرية التي تقيم في فنادق طريق نورثمبرلاند. سوف أتركه ليروي لكم قصته بنفسه.

انضم إلينا بعد عدة دقائق رجل قصير بدين يظهر أصله الجنوبي من لون وجهه الأسمر وشعره الداكن، بالرغم من أن حديثه يدل على رجل إنجليزي مثقف.

صافح شيرلوك هولمز بحرارة، ولمعت عيناه بسرور حين عرف أنه

متشوق إلى سماع قصته.

كانت نبرة الشكوى واضحة في صوته وهو يقول:

لا أظن أن الشرطة يمكن أن يصدقوا كلامي، لا أظن، لأنهم لم يسمعوا بشيء مماثل من قبل.

يعتقدون أن مثل هذا الشيء لا يمكن أن يحدث، ولكنني أعرف أنني لن أطمئن بالاً إلا إذا عرفت مصير ذلك الرجل المسكين ذي الشريط اللاصق على وجهه.

قال شيرلوك هولمز:

أنا منتبه تماماً.

قال السيد ميلاس:

نحن الآن في مساء الأربعاء، حسناً إذن، فقد حدث الأمر في ليلة الإثنين؛ لقد حدث كل شيء منذ يومين فقط.

لا بد أن جاري أخبركما أنني مترجم، وأنا أترجم نصوصاً من لغات كثيرة، ولكن لأنني يوناني المولد والاسم فقد ارتبطت على وجه

الخصوص بتلك اللغة. أنا رئيس المترجمين اليونانيين في لندن واسمي معروف تماماً في الفنادق، ويحدث كثيراً أن أستدعى في أوقات غير مألوفة لمساعدة أجانب يتعرضون إلى صعوبات، أو بواسطة مسافر يرجو المساعدة.

ولذلك لم أدهش ليلة الإثنين الماضي عندما جاء السيد لاتيمر (وهو شاب يرتدي ثياباً أنيقة جداً) إلى مسكني وطلب مني مصاحبته في عربة أجرة كانت تنتظرنا عند الباب، فقد جاء صديق يوناني لزيارته في عمل كما قال.

وحيث إن هذا الصديق لا يتحدث إلا اليونانية فقد تطلب الأمر وجود مترجم، وقد أفهمني أن منزله بعيد في كنسنغتون، كما أنه بدا مستعجلاً جداً حتى إنه حثني على الإسراع إلى داخل العربة حين نزلنا إلى الشارع.

في البداية ظننتها عربة أجرة كما قلت، لكنني أدركت سريعاً أنها عربة خاصة، فقد بدت أوسع من عربة الأجرة العادية ذات العجلات الأربع التي تسيىء إلى صورة لندن، وبالرغم من أن الفرش مهترئ إلا

أنه كان من نوعية فاخرة.

جلس السيد لاتيمر مقابلي وانطلقنا باتجاه تقاطع تشيرنغ كروس نم عبرنا شارع شافتزيري، وعندما وصلنا إلى شارع أكسفورد خاطرت بإلقاء بعض الملاحظات قائلاً:

إن ذلك الطريق لا يتجه إلى كنسنغتون مباشرة، ثم توقفت عن الكلام بسبب تصنف تصرف غريب من مرافقي؛ فقد سحب من جيبه هراوة مرعبة مطعمة بالرصاص وأخذ يلوح بها إلى الأمام وإلى الخلف عدة مرات كما لو كان يختبر وزنها وقوتها، وبعد ذلك وضعها على المقعد المجاور له دون أن ينطق بكلمة!

بعد أن فعل ذلك قام بإغلاق النوافذ على الجانبين، ولدهشتي وجدت أن النوافذ مغطاة بورق لمنعى من الرؤية من خلالها.

قال:

أنا آسف لحجب الرؤية عنك يا سيد ميلاس؛ في الحقيقة لا أريدك أن تعرف المكان الذي سنذهب إليه، فليس مما يوافقنى أن تتمكن من الوصول إليه مرة أخرى.

أدهشني هذا الكلام دهشة عظيمة، فقد كان مرافقي شاباً قوياً عريض المنكبين، وحتى لو لم يحمل معه ذلك السلاح فما كنت لأملك أدنى فرصة للفوز إذا تعاركت معه، فتمتمت قائلاً:

هذا التصرف غير عادي يا سيد لاتيمر، يجب أن تدرك أن ما تفعله غير قانوني على الإطلاق.

قال: في الأمر انتهاك لحريتك بلا شك، ولكننا سنعوضك على أية حال يا سيد ميلاس.

أما إذا حاولت أن تستغيث أو أن تفعل أي شيء ضد إرادتي في أي وقت من هذه الليلة فسوف تعرض نفسك إلى مشكلة خطيرة، وأرجو أن تتذكر أن أحداً لا يعرف مكانك، وأنك تحت سيطرتي سواء كنت في هذه العربة أوفي منزلي.

كانت كلماته هادئة ولكن طريقته حملت الكثير من الوعيد، فجلت في صمت أفكر في السبب الذي دعاه إلى اختطافي بهذه الطريقة الغريبة، وأياً كان السبب فقد بات واضحاً أن المقاومة ما كانت لتفيد وأنه لا يعنى سوى الانتظار لمعرفة ما سيحدث.

استمرت الرحلة ساعتين من غير أن أتوصل إلى أدنى فكرة عن المكان الذي سنذهب إليه؛ فتارة أسمع خشخشة الحصى مما يدل على طريق غير ممهد، وأحياناً أخرى تنبئ طريقة سيرنا الهادئة الناعمة بطريق ممهد، وباستثناء هذه الأصوات المختلفة لم أتمني العثور على أي سمل يساعدني في معرفة المكان الذي سنذهب إليه؛ فالورق الذي غض النوافذ مزع بخور الضوء، أما الزجاج الأمامي فقد غطته ستارة زرقاء.

كنا قد غادرنا شارع بول مول في الساعة السابعة والربع وأشارت ساعتي إلى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق حين توقفنا أخيراً، فأنزل مرافقي النافذة فلمحت مدخلاً منخفضاً على شكل قوس يعلوه مصباح مضاء.

وحين دعيت إلى الإسراع في مغادرة العربة فتح الباب ووجدت نفسي داخل المنزل، وقد أن بوجود أشجار ومرج عشبي عن يميني ويساري حين دخلت.

كان في الداخل مصباح ملون، وقد جعل ضوءه خافتاً بحيث لم أستطيع رؤية أي شيء سوى ملاحظة إن الصالة كانت واسعة إلى حد

ما ومليئة بصور معلقة على الجدران، وقد استطعت في ذلك الضوء الخافت ملاحظة أن الرجل الذي فتح الباب كان رجلاً ضئيلاً متوسط العمر لئيم الطلعة قوي الجسم، وحين استدار ناحيتنا أظهرت لي ومضة الضوء أنه يرتدي نظارات.

قال: هل هذا هو اليد ميلاس؟

حسناً، لا نية لدينا في إيذائك يا سيد ميلاس كما أرجو، ولكن لا يمكننا الاستمرار، فإذا ما تعاملت معنا بشكل جيد فلن تندم على ذلك، ولكن فليساعدك الله إذا حاولت خداعنا.

تحدث بطريقة عصبية متشنجة تخللتها ضحكات قصيرة مجلجلة، فقلت: ماذا تريد منى؟

– نريدك فقط أن تسأل سيداً يونانياً محترماً يزورنا عدة أمثلة وتخبرنا بإجابته، ولكن دون أن تقول أكثر مما أطلب منك وإلا...

ثم عاد ليقهقه بطريقة عصبية مرة أخرى وأكمل قائلا:

ستتمنى أنك لم تولد قط!

فح الباب وقاد الطريق وهو يتكلم إلى غرفة بدا أنها مفروشة بفراء، ولكن الضوء الوحيد الموجود كان مصباحاً خافتاً.

كانت الغرفة كبيرة بالتأكيد، وعرفت حين غاصت قدماي في الجادة مدى فخامتها، كما لمحت مقاعد مخملية ورفاً أبيض رخامياً للمدفئة، بالإضافة إلى ما بدا أنه حلة من حلل الجيش الياباني في أحد جوانب الغرفة.

رأيت مقعداً تحت المصباح مباشرة، وطلب مني الرجل الأكبر سناً أن أجلس عليه في حين غادر الأصغر الغرفة، ولكنه لم يلبث، أن عاد وهو يقود سيداً محترماً يرتدي ما يشبه رداء النوم ويتجه نحونا ببطء، وحين اقترب إلى دائرة الضوء الخافت استطعت، رؤيته بوضوح فارتعبت من مظهره؛ كان بالغ النحافة وذا عينين بارزتين لامعتين كأن قوة روحه تفوق قوة جسده.

وقد بدا شاحباً شحوب الموتى، ولكن ما صدمني حقاً أكثر من مظاهر ضعفه الجسدي هو أن جسده كان ملفوفاً بشريط لاصق على شكل متقاطع، وقطعة أخرى كبيرة ملصقة على فمه!

صاح الرجل الأكبر سناً عندما سقط هذا الغريب على مقعد:

هل معك القائمة يا هارولد؟

وهل يداه طليقتان؟

إذن أعطه القلم الآن. ستسأل الأمثلة يا سيد ميلاس وهو سيكتب الإجابة على الأوراق. اسأل:

هل هو مستعد للتوقيع على الأوراق؟

توهجت عينا الرجل ثم كتب على اللوح:

أبدأ.

سألته بطلب من خاطفنا:

ولا حتى في أي ظرف؟

- فقط إذا زوجها قس يوناني أعرفه بحضوري شخصياً.

قهقه الرجل بطريقته الحقودة وقال:

أتعرف ما ينتظرك إذن؟

- افعل بي ما تشاء فلن أهتم.

هذه نوعية من الأسئلة والإجابات التي شكلت محادثتنا الغريبة التي كان نصفها مكتوباً ونصفها الآخر منطوقاً، وكان علي مراراً وتكراراً أن أعيد سؤاله عما إذا كان سيستسلم ويوقع الوثيقة، وفي كل مرة أتلقى نفس الرد الغاضب.

وفجأة خطرت لي فكرة موثقة فبدأت بإضافة صغيرة في نهاية كل سؤال. في أول الأمر بدأت بجمل بريئة لأعرف ما إذا كان الرجلان المرافقان لنا ينتابهما الشك في الأمر، وبعد ذلك حين وجدت أنهما لم يظهرا أي علامات على فهم ما يحدث بدأت بتنفيذ لعبة أخطر، فجرت محادثتنا على الشكل التالي:

– لن يفيدك هذا العناد بشيء. من أنت؟

– لا يهمني. أنا غريب عن لندن.

– سيكون مصيرك بين يديك، منذ متى وأنت، هنا؟

– فليكن. ثلاثة أسابيع.

– لن تكون الملكية لك أبداً. ما سبب مرضك؟

– لا يمكنني تركها للأوغاد. إنهم يقومون بتجويعي.

– سنحررك بعد أن توقع. ما هذا المنزل؟

–لن أدري أبداً.لا أعرف.

– أنت بذلك لا تساعدها. ما اسمك؟

– دعني أسمع ذلك منها. كراتيدس.

– ستراها إذا وقعت. من أين أنت؟

– لن أراها أبداً إذن. أثينا.

لو أمهلوني خمس دقائق أخرى يا سيد هولمز لكنت انتزعت القصة كاملة بالحيلة، فلربما وضح سؤالي التالي الأمر كله، ولكن في تلك اللحظة فتح الباب ودخلت الغرفة امرأة لم أستطع رؤيتها بوضوح كاف لأعرف أكثر من أنها طويلة رشيقة وتلتف برداء أبيض واسع. قالت بإنجليزية ذات لكنه صعيفة:

هارولد، لا أستطيع البقاء بعيداً وقتاً أطول، المكان موحش في الأعلى مع... يا إلهي، إنه بول!

كانت هذه الكلمات الأخيرة باللغة اليونانية، وفي نفس اللحظة نزع الرجل الشريط اللاصق عن شفتيه بمجهود متشنج وصرخ قائلاً:

صوفي، صوفي!

وأسرع مندفعاً بين ذراعي المرأة، ولكن عناقهما استمر للحظة فقط حيث أمسك الرجل الأصغر سناً بالمرآة ودفعها إلى خارج الغرفة في حين تغلب الرجل الأكبر سناً على ضحيته الضعيفة بسهولة وسحبه بعيداً من الباب الآخر، وللحظة بقيت وحيداً في الغرفة فقفزت واقفاً تراودني فكرة مبهمة بأنني قد أستطيع بطريقة ما الحصول على دليل عن هذا المنزل الذي وجدت نفسي فيه.

ولحسن الحظ لم أقم بأية خطوة، فحين نظرت إلى الأعلى وجدت الرجل الأكبر سناً يقف في مدخل الباب وهو يثبت نظراته عليَّ. قال:

هذا يكفي يا سيد ميلاس، وكما تلاحظ لقد ائتمناك على شيء غاية في الخصوصية، ولم نكن لنزعجك ولكن صديقنا الذي يتحدث اليونانية والذي بدأ هذه المفاوضات اضطر إلى العودة إلى الغرق.

ولذلك كان من الضروري أن نجد من يحل محله، وقد حالفنا الحظ حين سمعنا عن قدراتك.

ثم اقترب متي وقال:

هذه خمسة جنيهات، وأتمنى أن تكون أجرا مرضياً بالنسبة لك.

ثم دق على صدري بخفة وأضاف وهو يقهقه:

ولكن تذكر، إذا تحدثت إلى أي شخص عن هذا الأمر، حتى لو كان شخصاً واحداً... حسناً، ليرحمك الله إذا فعلتها.

لا أستطيع أن أصف لكم مدى الرعب والمقت الذي أثاره هذا الرجل الفتيل في نفسي، فقد استطعت رؤيته الآن بشكل أفضل في ضوء المصباح.

كانت ملامحه هزيلة شاحبة ولحيته المدببة الصغيرة شعثاء مهملة، وقد دفعه وجهه إلى الأمام وهو يتحدث فيما أخذت شفتاه وجفناه في الارتعاش باستمرار كشخص يعاني من داء الشلل الرعاش.

ولم أستطع منع نفسي من التفكير بأن ضحكته القصيرة اللافتة

للنظر كانت أحد أعراض ذلك المرض العصبي، وقد كانت عيناه مصدر الرعب في وجهه؛ فهما رماديتان فولاذيتان تشعان من الأعماق ببرود ووحشية وقوة جامحة.

قال:

تعرف إذا تحدثت عن الأمر، فلنا وسائلنا الخاصة. والآن ستجد العربة في انتظارك وسيوصلك صديقي إلى طريقك.

أجبروني على الإسراع من الصالة حتى العربة حيث لمحت مرة أخرى الأشجار والحديقة، وتبعني السيد لاتيمر عن قرب ثم جلس في المقعد المقابل لي دون أن يتفوه بكلمة، وانطلقت العربة ثانية يغلفها الصمت لمسافة طويلة والنوافذ مغطاة، حتى توقفت العربة أخيراً بعد منتصف الليل مباشرة.

قال مرافقي:

ــ ستنزل هنا يا سيد ميلاس، وأعتذر لأنني سأتركك بعيداً عن منزلك إلى هذه الدرجة، ولكن لا يوجد بديل آخر، فأية محاولة منك للحاق بالعربة ستنتهي بأن تؤذي نفسك.

ثم فتح الباب، ولم أكد أنزل من العربة حتى انطلقت مبتعدة بعد أن ضرب الحوذي الحصان. نظرت حولي بدهشة، فقد تحت في نوع من المروج العامة التي تتناثر فيها أشجار نبات شائك.

وقد ظهر على البعد صف من المنازل مع ضوء متناثر هنا وهناك في النوافذ العليا، وفي الناحية الأخرى رأيت علامة الضوء الأحمر للسكك الحديدية.

كانت العربة التي أحضرتني قد اختفت، ووقفت أحدق إلى ما حولي وأتساءل أين أكون!

ثم رأيت شخصاً قادماً في الظلام باتجاهي، وحين اقترب مني عرفت أنه واحد من حمالي السكك الحديدية فسألته:

هل تستطيع إخباري ما هذا المكان؟

قال:

هذه حديقة وندسورث.

- هل يوجد قطار يأخذني إلى المدينة؟

قال: إذا مشيت ميلاً أو ما نحو ذلك حتى تصل إلى تقاطع كلافام فسوف تتمكن من اللحاق بآخر قطار يتجه إلى محطة فكتوريا.

كانت تلك نهاية مغامرتي يا سيد هولمز، فأنا لا أعرف أين كنت ولا مع من تكلمت ولا أي شيء آخر إلا ما أخبرتك به، لكنني أعرف أن هناك لعبة قذرة تحدث، وأريد أن أساعد الرجل المخيف بقدر ما أستطيع.

لقد أخبرت السيد مايكروفت بالقصة كاملة في صباح اليوم التالي، وبعد ذلك أخبرت الشرطة.

جلسنا جميعاً في صمت لوقت قصير بعد أن استمعنا إلى هذه القضية الغريبة، ونظر شيرلوك هولمز إلى أخيه ثم قال:

هل قمتم بأية خطوات؟

التقط مايكروفت نسخة من صحيفة (ديلي نيوز) كانت على طاولة بجانبه وقال:

لقد وضعنا هذا الإعـلان فى الصحف كلها، ولكن دون أي استجابة. كان الإعلان يقول:

(مكافأة لمن يقدم أية معلومات عن مكان سيد يوناني اسمه بول كراتيدس من أثينا، وهو لا يتكلم الإنجليزية.

ومكافأة مماثلة لمن عنده أية معلومات عن سيدة يونانية اسمها الأول صوفي).

- ماذا عن المفوضية اليونانية؟

- لقد سألت هناك، وهم لا يعرفون شيئاً.

- هل بعثتم برقية إلى رئيس شرطة أثينا؟

التفت مايكروفت ناحيتي وقال:

إن شيرلوك يمتلك طاقة العائلة كلها. حسناً، فلتتابع القضية يا شيرلوك بأية طريقة ممكنة، ثم أخبرني إذا توصلت إلى أي نتيجة.

أجاب صديقي وهو يقوم عن مقعده:

بالتأكيد، سأخبرك أنت والسيد ميلاس بالتطورات، أما في الوقت الحالي فيجب أن تحترس يا سيد ميلاس، فلا شك أنهم عرفوا أنك قد خنتهم بسبب هذه الإعلانات.

مر هولمز بمكتب البريد ونحن فى طريقنا إلى المنزل فأرسل عدة برقيات، ثم قال:

أتدري يا واطسون؟

لم يذهب وقتنا سدى على أية حال، فبعض أكثر القضايا تشويقاً جاءني عن طريق مايكروفت، وهذه المشكلة التي استمعنا إليها قبل قليل لا تخلو من بعض الخصائص المتميزة، رغم أنها ليس لها سوى تفسير واحد.

– هل عندك أمل في حلها؟

– حسناً، سيكون غريباً أن نفشل في معرفة الحل مع كل ما نعرفه عن القضية، فلا بد أنك أنت نفسك قد كونت بعض الأفكار التي يمكن أن توضح الحقائق التي استمعنا إليها.

– أجل، بطريقة مبهمة.

– ما فكرتك إذن؟

– يبدو أن هذه الفتاة اليونانية قد نقلت عنوة بواسطة الغاب

الإنجليزي هارولد لاتيمر.

– نقلت من أين؟

– ربما من أثينا.

هز شيرلوك هولمز رأسه وقال:

هذا الشاب لا يتكلم اليونانية مطلقاً، أما السيدة فتتحدث الإنجليزية بشيء من الطلاقة، وهذا يدلنا على أنها أمضت بعض الوقت، في إنجلترا، أما هو فلم يذهب إلى اليونان مطلقاً.

– حسناً، لنفترض إذن أنها قد جاءت في زيارة إلى إنجلترا فأقنعها هارولد هذا بأن تهرب معه.

– هذا أكثر احتمالاً.

– وعندئذ جاء الأخ (حيث أظن أن هذه هي العلاقة بينهما) ليتدخل فوضع نفسه بشكل أحمق تحت سيطرة الشاب وشريكه الأكبر سناً، فقد قبضا عليه واستخدما القوة معه ليوقع على بعض الأوراق فينقل ثروة الفتاة (التي قد يكون وصيا عليها) إليهما، ويبدو أنه رفض أن يقوم

بذلك، ولكي يتفاوضا معه كان عليهما الاستعانة بمترجم فاختارا هذا السيد ميلاس دون سابق ترتيب، حيث يبدو أنهم كان لديهما مترجم آخر من قبل، كما لم يتم إخبار الفتاة بوصول أخيها لتكتشف ذ لك عن طريق المصادفة البحتة.

صاح هولمز:

ممتاز يا واطسون، أظن أنك لم تبتعد عن الحقيقة، فكما ترى نحن نملك كل الأوراق ولا نخشى إلا أن يقوما بعمل عنيف من جانبهما، فلو أمهلانا بعض الوقت فسوف نقبض عليهما.

– ولكن كيف سنعرف مكان ذلك المنزل؟

– حسناً، إذا كان تخميننا صحيحاً واسم الفتاة هو صوفى كراتيدس فلن نواجه صعوبة في اقتفاء أثرها، ويجب أن يكون ذلك هو هدفنا الرئيسي لأن الأخ غريب تماماً بالطبع.

ومن الواضح أن بعض الوقت قد مضى منذ أنشأ ذلك الرجل هارولد علاقة مع الفتاة، بعض الأسابيع على أقل تقدير، وذلك لأن الأخ قد سمع بالأمر في اليونان ثم جاء إلى هنا، فلو أنهم كانوا يعيشون

في المكان نفسه فسوف نحمل على رد على إعلان مايكروفت.

وصلنا إلى منزلنا في شارع بيكر في أثناء حديثنا، وصعد هولمز الدرج أولاً، وحين فتح باب غرفتنا جفل من الدهشة، وعندما نظرت من فوق كتفيه دهشت بالدرجة نفسها؛ لقد كان أخوه مايكروفت جالساً على الكرسي!

قال بشكل عادي وهو يبتسم في وجهينا الدهشين:

ادخل يا شيرلوك، ادخل يا عزيزي الطيب.

أنت لا تتوقع هذا النشاط مني يا شيرلوك ، أليس كذلك؟ ولكن هذه القضية تجذبني بشكل ما.

- كيف أتيت إلى هنا؟

- لقد سبقتك بعربة.

- هل من تطورات جديدة؟

- وصلني رد على إعلاني.

- حقاً؟!

– نعم، لقد جاء بعد رحيلك بدقائق قليلة.

وما النتيجة؟

أخرج مايكروفت هولمز ورقة وقال:

ها هي، وقد كتبت بقلم حبر على ورق أبيض بواسطة رجل في منتصف العمر له بنية ضعيفة، كتب:

(سيدى، إجابة على إعلانك بتاريخ اليوم أحب إخبارك أنني أعرف الشابة المقصودة جيداً، فلو رغبت في زيارتي فسأخبرك ببعض التفصيلات عن ماضيها المؤلم، وهي تعيش حالياً في بكنهام في بيت اسه ميذتلز. المخلص: ج. دافنبورت).

قال مايكروفت هولمز:

إنه يكتب من بركستون. ألا تظن أنه يمكننا أن نذهب إليه الآن يا شيرلوك لنعرف هذه التفصيلات؟

– إن حياة الأخ أهم من قصة الأخت يا عزيزي مايكروفت. أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى المفتش غريغسون في سكنلنديارد ثم نتجه إلى

بكنهام مباشرة، فنحن نعرف أن الرجل معرض للموت، وقد تكون لكل ساعة أهميتها العظيمة.

قلت مقترحاً:

من الأفضل أن نأخذ السيد ميلاس معنا، فقد نحتاج مترجماً.

قال شيرلوك هولمز:

ممتاز؛ اطلب من البواب إحضار عربة كبيرة ونغادر على الفور.

فتح درج الطاولة وهو يتحدث، ولاحظت أنه قد أسقط في جيبه مسدساً، ثم قال رداً على نظراتي:

ــ أستطيع القول- بناء على ما سمعناه- أننا نتعامل مع عصابة شديدة الخطر.

كان الظلام قد حل تقريباً قبل أن نصل إلى شارع بول مول، وهناك وجدنا أن السيد ميلاس قد اختفى من مسكنه بعد أن زاره سيد محترم!

سأل مايكروفت هولمز:

هل يمكنك، إخباري أين؟

قالت السيدة التي فتحت الباب:

لا أدري يا سيدي، أعرف فقط أنه انطلق في عربة مع سيد محترم.

– هل ذكر السيد المحترم اسمه؟

– لا يا سيدي.

– هل هو شاب طويل وسيم أسمر؟

– لا يا سيدي، بل هو رجل ضئيل يضع نظارات وله وجه نحيف، ولكنه مرح جداً حيث كان يضحك طوال الوقت الذي كان يتحدث فيه.

صاح هولمز بحدة: أسرعوا، لقد أصبح الأمر خطيراً.

ثم علق ونحن في طريقنا إلى إدارة سكتلنديارد:

لقد قبض هذان الرجلان على ميلاس ثانية، وهو رجل لا يملك أية قوة بدنية كما يعرفون عنه من تجربتهم في تلك الليلة ، فقد تمكن هذا الشرير من بث الرعب فيه بمجرد حضوره.

لا شك أنهم يريدون خدماته فى الترجمة، ولكن بعد أن يستغلوه فى

ذلك سوف يوقعون به العقاب جزاء خيانته حسب اعتقادهم.

ــ إن أملنا هو أن نأخذ القطار فنصل بكنهام مع العربة أو قبلها.

ولكننا حين وصلنا إلى إدارة سكتلنديارد أضعنا أكثر من ساعة قبل أن نصل إلى المفتش غريغسون، ومن ثَمَّ خضعنا للشكليات القانونية التي تمكننا من دخول المنزل، حتي بلغت الساعة العاشرة إلا الربع قبل أن نصل إلى برج لندن، وكانت الساعة العاشرة والنصف حين نزلنا نحن الأربعة على رصيف بكنهام.

ثم ركبنا عربة لمسافة نصف ميل لنصل إلى ميزتلز، وهو منزل واسع قاتم يقع بعيداً عن الطريق محاطاً بحدائقه الخاصة، وعند ذلك صرفنا العربة وصعدنا إلى المنزل معاً.

علق المفتش قائلاً:

ــ النوافذ كلها مظلمة والمنزل يبدو مهجوراً.

قال هولمز؛ لقد طار العصفور والعش خال.

- لماذا تقول ذلك؟

– لقد خرجت عربة محملة بأمتعة ثقيلة خلال الساعة الماضية.

ضحك المفتش وقال:

لقد رأيت آثار العجلات في ضوء مصباح البوابة، ولكن كيف عرفت بأمر الأمتعة؟

– ربما لاحظت وجود نفس آثار العجلات في الاتجاه الداخل، ولم الآثار المتجهة إلى الخارج أعمق كثيراً إلى حد يمكننا من قول إن في العربة وزناً كبيراً جداً بكل تأكيد.

قال المفتش وهو يهز كتفيه:

لقد تغلبت عليَّ في هذا. سيكون من الصعب خلع هذا الباب، ولكننا سنحاول ذلك إذا لم يمنعنا أحد.

دق مطرقة الباب بشدة ثم رن الجرس دون جدوى، وتسلل هولمز مبتعداً ثم عاد بعد عدة دقائق وقال:

لقد فتحت إحدى النوافذ.

قال المفتش بعد أن لاحظ كيف تمكن صديقى من خلع مزلاج

النافذة بمهارة: حسناً، في هذه الظروف أظن أننا يمكن أن ندخل دون دعوة.

دخل أحدنا بعد الآخر إلى الغرفة الواسعة التي كان من الواضح أنها الغرفة نفسها التي وجد السيد ميلاس نفسه فيها. أضاء المفتش مصباحه واستطعنا بمساعدة الضوء رؤية البابين والستارة والمصباح بالإضافة إلى الحلة اليابانية كما وصفت تماماً، وكان على الطاولة كوبان بالإضافة إلى بقايا وجبة.

سأل هولمز فجأة:

ـــ ما هذا؟

توقفنا جميعاً عن الحركة وأنصتنا فسمعنا صوت أنين خافت يأتي من مكان ما فوق رؤوسنا، وأسرع هولمز إلى الباب ثم خرج إلى الصالة وصعد إلى الأعلى حيث كان الموت الكئيب قادماً من الطابق العلوي، ثم تبعته أنا والمفتش فيما تبعنا أخوه مايكروفت بأسرع ما يسمح به جسمه الضخم.

واجهتنا ثلاثة أبواب في الطابق الثاني، وكانت الأصوات المنذرة

بالشر تصدر من الغرفة الوسطى حيث تنخفض في بعض الأوقات لتصبح همهمة ضعيفة ثم يرتفع الأنين ثانية.

ــ كانت الغرفة مقفلة ولكن المفتاح كان موجوداً في الباب من الخارج، ففتح هولمز الباب واندفع إلى داخل الغرفة، ولكنه سرعان ما خرج ثانية وهو يمسك بحنجرته ثم صاح قائلاً: إنه فحم، انتظروا قليلاً وسيتبدد الدخان.

وحين اختلسنا النظر إلى داخل الغرفة استطعنا رؤية أن الضوء الوحيد الموجود في الغرفة جاء من شعلة زرقاء ضعيفة تومض في مرجل نحاسي ثلاثي القوائم في منتصف الغرفة، حيث ألقت بدائرة من الضوء الأزرق الغريب على الأرض، في حين رأينا في الظل طيفاً غير واضح لرجلين جاثمين على الجدار!

خرج من الغرفة عبر الباب المفتوح دخان سام رهيب جعلنا نلهث ونسعل، في حين اندفع هولمز إلى أعلى الدرج ليستنشق هواء نقيًّا ثم أسرع إلى الغرفة ليفتح النافذة ويلقي بالمرجل النحاسي منها إلى الحديقة، ثم لهث قائلاً بعد أن خرج ثانية:

سنستطيع الدخول في خلال دقيقة. أين الشمعة؟ أشك في أننا نستطع إشعال الثقاب في هذا الجو، ولذلك أمسك بالضوء عند الباب يا مايكروفت وسنعمل نحن على إخراجهما... الآن!

اندفعنا نحو الرجلين المسممين وسحبناهما إلى الصالة ذات الإضاءة الجيدة. كان كلاهما فاقداً الوعي أزرق الشفتين مع وجه محتقن منتفخ وعينين جاحظتين.

وكانت ملامحهما مشوهة جداً لدرجة أننا لم نكن لنتعرف على المترجم الذي فارقناه منذ ساعات قليلة في نادي ديوجينز لولا لحيته السوداء وبنيته القوية.

وقد تم ربط قدميه ويديه بإحكام؛ كما كان على إحدى عينيه آثار ضرب عنيف.

وقد أحكم وثاق الآخر بنفس الطريقة، وهو رجل طويل ضعيف جداً كانت على وجهه عدة أشرطة لاصقة مرتبة بشكل غريب، وقد توقف عن الأنين فيما كنا نضعه على الأرض.

وحين نظرت إليه عرفت أننا قد تأخرنا في مساعدته، أما السيد

ميلاس فقد عاش، وبعد أقل من ساعة وبمساعدة النشادر شعرت بالرضا حين رأيته يفتح عينيه وعرفت أنني قد أنقذته.

وقد كانت القصة التي أخبرنا بها بسيطة كما أنها أكدت استنتاجنا، فقد شعر برعب شديد حين دخل زائره إلى مسكنه وسحب مسدساً من كمه وهدده بالموت الفوري المؤكد، وبذلك تمكن من اختطافه للمرة الثانية، وكان تأثير ذلك الشرير الضاحك على المترجم التعس يشبه التنويم المغنطيسي، فلم يكن ليستطيع الكلام عنه دون أن ترتعش يداه ويشحب وجهه.

وقد أخذوه بسرعة شديدة في المقابلة الثانية التي كانت أكثر إثارة من الأولى، حيث هدد الرجلان سجيتهما بالموت الفوري ما لم يذعن إلى مطالبهما، وأخيراً حين وجداه صامداً أمام كل التهديدات أعاداه إلى سجنه، وبعد ذلك قاما بتوبيخ ميلاس بسبب خيانته التي ظهرت في إعلان الصحف، ثم أفقداه الوعي بضربة عصا، ولا يتذكر شيئاً بعد ذلك حتى وجدنا ننحنى فوقه.

كانت تلك هي القضية الغريبة للمترجم اليوناني، وما يزال

تفسيرها يشوبه بعض الغموض، وإن كنا قد تمكنا- عن طريق السيد المحترم الذي رد على الإعلان- من معرفة أن هذه السيدة التعسة الحظ من عائلة يونانية ثرية، وأنها كانت في زيارة لبعض الأصدقاء في إنجلترا حين قابلت شاباً يدعى هارولد لاتيمر، وقد سيطر عليها وأقنعها بالهروب معه، فذهل أصدقاؤها مما حدث وقاموا بإبلاغ شقيقها في أثينا، نم نفضوا أيديهم من الموضوع.

أما الأخ فحين وصل إلى إنجلترا وضع نفسه بحماقة في قبضة لاتيمر وشريكه الذي يدعى ويلون كيمب، حيث أصبح عاجزاً بين أيديهم بسبب جهله باللغة.

وقد احتفظا به سجيناً وحاولا أن يجبراه على التنازل عن ممتلكاته هو وأخته عن طريق القوة والتجويع، وقد قاما بسجنه في المغزل دون علم الفتاة، ولذلك وضعا الشريط اللاصق على وجهه لإخفاء ملامحه حتى لا تتعرف عليه في حال لمحنه مصادفة، وإن كانت غريزتها الأنثوية قد استدلت عليه في الحال رغم التمويه عندما رأته للمرة الأولى وقت زيارة المترجم.

وقد كانت الفتاة المسكينة نفسها سجينة ، حيث لم يكن في المنزل أحد سوى الرجل الذي يعمل حوذياً وزوجته، وهما أداتان في أيدي المجرمين. وحين عرف الشريران أن سرهما قد انكشف وأن سجينهما لن يذعن لهما هربا مع الفتاة من المنزل المفروش الذي كانا يستأجرانه، وكان ذلك قبل وصولنا بساعات قليلة، بعد أن قاما أولاً- حسب اعتقادهما- بالثأر من الرجل الذي تحداهما والآخر الذي خانهما.

بعد ذلك بعدة شهور وصلتنا قصاصة مثيرة للفضول من إحدى صحف مدينة بودابست تنص على أن رجلين إنجليزيين كانا يسافران برفقة امرأة قد لقيا حتفهما بطريقة مأساوية، ويبدو أن كليهما قد طعن، وترى الشرطة المجرية أنهما كانا يتعاركان فأصاب كل منهما الآخر بجراح مميتة.

أما هولمز فله طريقة مختلفة في التفكير كما أظن، فهو يصر حتى هذا اليوم على أن الفتاة اليونانية هي وحدها التي تعرف كيف تم الانتقام ممن أجرم في حقها وحق أخيها.

تمت

مغامرات شيرلوك هولمز

الشريط المرقط

تأليف

آرثر كونان دويل

ألقيت نظرة على المعلومات التي دونتها حول سبعين قضية غريبة درست فيها، خلال السنوات الثمان الماضية، الطرق المتبعة من قبل صديقي شيرلوك هولمز، فوجدت فيها الكثير من السحر والفكاهة والغرابة البعيدة كل البعد عن الابتذال، فهو كان يعمل حبا فيه لا طعما في جني ثروة.

لذا رفض زج نفسه في أي تحقيق لا يخرج عن المألوف، لا بل لا يحوي شيئا من الخيال.

لكنني لا أذكر من بين كل القضايا قضية مميزة مثل قضية أسرة روبلوتس الشهيرة في ستوك موران.

كان ذلك في مطلع شهر نيسان (أبريل) من العام ١٨٨٣ م استيقظت ذات صباح لأجد شيرلوك هولمز واقفا قرب سريري وقد ارتدى ثيابه بالكامل. لقد اعتاد أن يصحو متأخرا.

فنظرت إليه متعجبا مع شيء من القلق لأني أنا أيضا منتظم في عاداتي اليومية.

قال:

«آسف لإيقاظك».

«ما الأمر؟

هل شب حريق؟»

«لا، مجرد زبونة. لقد وصلت شابة متوترة جدا على ما يبدو وتصر على مقابلتي. إنها تنتظر في غرفة الجلوس.

أنا واثق من أنك لن تفوت هذه القضية لو تبين أنها مثيرة. فارتأيت أن أوقظك ولا أفوت عليك هذه الفرصة».

«لن أفوت على هذه الفرصة مقابل أي شيء يا عزيزي».

جل ما أردته هو متابعة هولمز وهو يجري تحقيقاته فأستمتع باستنتاجاته السريعة المبنية دائما على المنطق والتي كان يجب من خلالها مفتاح الحل للمشاكل المعروضة عليه.

ارتديت ثيابي على عجل، وما هي إلا دقائق معدودة حتى أصبحت جاهزا لمرافقة صديقي إلى غرفة الجلوس.

كانت هناك سيدة تلبس ملابس سوداء وتستر وجهها بحجاب تنتظر قرب النافذة وقد نهضت عندما رأتنا ندخل.

قال هولمز مرحبا:

«صباح الخير سيدتي. أدعى شيرلوك هولمز، وهذا شريكي وصديقي الدكتور واتسون الذي يمكنك أن تتحدثي في حضرته بحرية مطلقة. سأطلب إحضار فنجان قهوة ساخن لك إذ أراك ترتعدين بردا».

أجابت السيدة بصوت خافت:

«ليس بردا، بل خوفا يا سيد هولمز، لا بل رعبا».

ثم نهضت وتحققنا بالفعل من أمارات التوتر على وجهها والخوف باد في عينيها كحيوان مطارد.

بدت شابة في الثلاثين من العمر لكن شعرها كان بدأ يشيب. أجال شيرلوك هولمز نظره بسرعة كما اعتاد أن يفعل من رأسها إلى أخمصي

قدميها.

قال بلطف وهو يتقدم نحوها ويربت على يدها:

«لا تخافي. أنا واثق من أننا سنسوي الأمور بأسرع وقت. لقد حضرت في القطار هذا الصباح، كما أرى»

«أنت تعرفني إذاً؟»

«لا، لكني لمحت النصف الثاني لبطاقة العودة في قفازك الأيسر».

فوجئت السيدة مما سمعته ورمقته بتعجب.

أجاب باسما:

«ما من شيء يخفى عليَّ، سيدتي».

قالت:

«مهما يكن، أنت على حق، لقد حدثتني السيدة فارنتوش عنك، سيد هولمز، أتعتقد أنك قادر على مساعدتي أيضا وإلقاء بعض الضوء على الظلمة الحالكة التي تحيط بي؟

صحيح أني عاجزة عن مكافأتك الآن للخدمات التي ستسديها

إليَّ، لكني سأتزوج بعد شهر أو شهرين وأصبح سيدة دخلي ولن أتوانى عندها عن القيام بواجبي».

اتجه هولمز إلى مكتبه وفتح الجارور وأخرج منه دفترا صغيرا ليعاينه.

«فارنتوش، نعم، تذكرت القضية الآن. أعتقد أنها كانت قبل وصولك يا واتسون. كل ما يسعني قوله الآن سيدتي إنه من دواعي سروري بذل نفس العناية بقضيتك كما بقضية صديقتك.

أما المكافأة، فعلى أفضل مكافأة لي. هلا تليت علينا كل ما قد يفيدنا لفهم الفضية».

«أكثر ما يثير اشمئزازي في هذه المسألة أن مخاوفي غامضة وشكوكي ترتكز على تفاصيل صغيرة قد تبدو تافهة للآخرين.

لكني سمعت أنك قد تنصحني سيد هولمز حول كيفية تخطي المخاطر التي تحدق بي».

«كلي سمع، سيدتي».

«أدعى هيلين ستونر وأنا أعيش مع زوج والدتي الذي هو آخر

عضو من أعضاء إحدى أقدم الأسر الإنجليزية في إنجلترا، آل رويلوتس من ستوك موران على الجهة الغربية/ سوريه».

قاطعها هولمز: الاسم ليس غريبا عني».

«كانت في ما مضى الأغنى في إنجلترا. هنا عاش آخر مالكي الأراضي حياة رهيبة لأرستقراطي فقير.

لكن ابنه الوحيد، زوج والدتي، مدركا ضرورة تأقلمه مع الظروف الجديدة، حصل على سلفة من أحد أقربائه ونال شهادة في الطب وذهب إلى كلكوتا حيث فتح عيادة بفضل مهارته المهنية وشخصيته القوية.

«هناك اقترن بوالدتي السيدة ستولر التي كانت أرملة الجنرال ستونر الشابة. أنا وشقيقتي جوليا توأمان وكنا في الثانية من العمر عندما تزوجت أمي من الدكتور رويلوت.

كانت تملك ثروة كبيرة في حينه لكنها توفيت بعد وقت قصير على عودتنا إلى إنجلترا، قبل ثماني سنوات في حادث قطار. تخلى الدكتور رويلوت عندها عن محاولاته لفتح عيادة في لندن واصطحبنا معه

للعيش في المنزل القديم في ستوك موران.

وكان المال الذي ورثناه عن والدتي كافيا لتغطية كل حاجاتنا وبدت السعادة في متناول يدنا.

«لكن تغيرا رهيبا طرأ على شخصية زوج والدتي، وبدلا من أن يحاول اكتساب الأصدقاء وتبادل الزيارات مع جيراننا، أوصد على نفسه الباب في المنزل ونادرا ما كان يخرج منه لافتعال شجار عنيف مع كل من كان يتجاسر ويمر في طريقه.

«أتصور أنك تستنتج مما قلته أني وشقيقتي جوليا فقدنا حب الحياة. وهي كانت في الثلاثين من عمرها عندما توفيت لكن شعرها كان قد بدأ يشيب كشعري أنا في الواقع».

«أي أن شقيقتك ميتة؟»

«توفيت قبل سنتين وقد جئت لأحدثك عن وفاتها بالتحديد. بالكاد كنا نقابل أحدا عمره كعمرنا نظرا إلى الظروف التي كنا نعيش فيها. لكن كانت لنا خالة هي السيدة هونوريا ويستفيل تعيش قرب هارو وكان يسمح لنا بزيارتها من حين إلى آخر.

ذهبت جوليا لتمضي عيد الميلاد عندها قبل سنتين والتقت هناك رائدا في سلاح البحرية وخطبت له. علم زوج والدتي بالأمر بعد عودتها لكنه لم يعترض إطلاقا.

لكن قبل أسبوعين من موعد الزفاف، حصل أمر رهيب حرمني رفيقتي الوحيدة».

كان هولمز مستلقيا على كرسيه وقد وضع رأسه على وسادة مغمضا عينيه، لكنه فتحهما بعد ما سمع ونظر إلى الزائرة مستوضحا:

«أرجوك أن تعطينا مزيدا من التفاصيل».

«ليس هذا صعبا لأن كل لحظة مطبوعة في ذهني، المنزل الذي نعيش فيه قديم جدا كما قلت وجناح واحد منه مسكون.

وتقع غرف النوم في الطابق الأرضي من هذا الجناح وغرف الجلوس في القسم الأوسط. أول غرفة نوم هي للدكتور رويلوت والثانية لشقيقتي والثالثة لي وكلها منفصلة بعضها عن بعض لكنها تفضي جميعا إلى نفس الممر واضح؟»

«وضوح الشمس».

«في تلك الليلة المشؤومة ذهب الدكتور رويلوت إلى غرفته باكرا لأن رائحة السيجار الهندي الذي كان يدخنه قد أزعجت شقيقتي.

فتركت غرفتها وأوت إلى غرفتي لبعض الوقت نتحدث عن تحضيرات الزفاف. في الحادية عشرة ليلا، همت بالذهاب إلى غرفتها لكنها توقفت برهة عند الباب تسألني:

«قولي لي هيلين، أسمعت أحدهم يصفر ليلا؟»

«أبدا. لماذا؟»

«لأني سمعت صفرة خافتة واضحة في تمام الثالثة صباحا منذ عدة أيام، لا يهم».

«ابتسمت وخرجت مقفلة الباب وراءها ثم سمعتها توصد بابها بالمفتاح».

سأل هولمز:

«وهل اعتدتما رصد الباب دائما كل ليلة؟»

«دائما».

«لم؟»

«لأن الدكتور كان يربي فهدا ورباحا، فلم نكن نشعر بالأمان ما لم نوصد الأبواب».

«فهمت. تابعي من فضلك».

«لم يغمض لي جفن تلك الليلة. كان شعور غريب بالقلق يتملكني. يا لها من ليلة رهيبة. الرياح تعصف في الخارج والمطر ينهمر بغزارة على النوافذ وفجأة صرخة امرأة مفجوعة.

أدركت حالا أنه صوت شقيقتي. نهضت من السرير وهرعت إلى الرواق. لما فتحت بابي، بدا لي سماع صوت صفرة خافتة كما وصفتها شقيقتي ثم رنينا وصوت كتلة حديد تقع.

وصلت إلى باب غرفة شقيقتي فلم أجده موصدا. رأيت بضوء المصباح في الممر شقيقتي عبر فتحة الباب وقد ابيضت لشدة الخوف، تمد يديها طلبا للنجدة.

«سارعت إليها أضمها بذراعي إلى صدري لكن قدميها لم تحملاها فوقعت على الأرض.

تلوت كمن يعاني من آلام مبرحة. ولما انحنيت أساعدها، قالت بنبرة لن أنساها أبدا:

«إلهي! إلهي! هلين! كان الشريط! الشريط المرقد!» وأشارت بإصبعها إلى غرفة الدكتور رويلوت، خرجت أناديه فرأيته يهرع من غرفته بثياب النوم.

لما وصل إلى غرفة شقيقتي كانت فاقدة الوعي ولم تنجح كل المحاولات لإنقاذها ففارقت الحياة دون أن تستعيد وعيها. هذه هي نهاية شقيقتي الحبيبة المؤلمة».

قال هولمز:

«مهلا لحظة، أواثقة من الصفرة وصوت المعدن؟»

«أنا واثقة من ذلك».

«هل كانت شقيقتك ترتدي ثيابها؟»

«لا، بل ثياب النوم. كانت تحمل في يدها اليمنى عود كبريت مستعمل وفي اليد اليسرى علبة كبريت».

«مما يعني أنها أنارت المصباح ونظرت حولها عندما صدر الإنذار، هذه نقطة هامة. وماذا قال المحقق؟»

«حقق في القضية بعناية نظرا إلى صيت الدكتور رويلوت الذائع في المنطقة لكنه لم يعثر على أي سبب مرض للوفاة.

من المؤكد أنها كانت بمفردها في الغرفة عندما قابلت الموت خاصة وأنه لا توجد آثار عنف عليها».

«ماذا عن السم؟»

«تحقق الأطباء من ذلك من دون جدوى».

«ما سبب وفاتها برأيك؟»

«لعلها توفيت لشدة الخوف وإثر صدمة عصبية مع أني لا أرى ما الذي أرعبها هكذا».

«ما رأيك بالتلميح إلى الشريط، الشريط المرقط؟»

«أحيانا أظن أنه مجرد هلوسة وأحيانا أخرى أنه إشارة حقيقية إلى زمرة أشخاص ربما أولئك الغجر في الحقل.

لست أدري ما إذا كان للأمر علاقة بالمحارم المبقعة التي يضعونها على رؤوسهم».

هز هولمز رأسه غير راض عن التفسير.

«إنها قضية معقدة؛ أكملي من فضلك».

«مرت سنتان منذ الحادثة وقد عشت وحيدة أكثر مما مضى إلى أن طلب يدي قبل شهر صديق عزيز أعرفه منذ سنوات يدعى أرميتاج، بيرسي أرميتاج، لم يعترض زوج والدتي على الزواج الذي سينعقد في الربيع المقبل.

وقد بوشرت أعمال صيانة قبل يومين في الجناح الغربي فاضطررت إلى الانتقال إلى الغرفة حيث توفيت شقيقتي والنوم في سريرها. تصور مدى ذعري الليلة الماضية وأنا مستلقية أفكر في مصيرها الرهيب، عندما سمعت فجأة الصفرة الخافتة التي أنذرت بوفاتها. نهضت بسرعة وأضأت المصباح لكني لم أر شيئا في الغرفة.

إلا أن النوم طار من عيني لشدة توتري فارتديت ثيابي وما أن طلع الضوء حتى أتيت إليك علك تسدي لي النصح وتساعدني».

أجاب صديقي: «حسنا فعلت. لكن أواثقة من أنك أخبرتني كل شيء؟»

«نعم».

«لا، آنسة ستوتر. إنك تسترين على زوج والدتك».

«ماذا تعني؟»

اكتفى هولمز للإجابة برفع الشريط الأسود الذي يكسو يدها التي وضعتها على ركبتها.

فظهرت خمس نقاط إنما هي علامات أربعة أصابع وإبهام مطبوعة على المعصم الأبيض.

«لقد أسيئت معاملتك».

احمر وجه الشابة وغطت معصمها المجروح مبررة: «إنه رجل قوي».

تلا ذلك صمت طويل أسند خلاله هولمز وجهه بين يديه محدقا بالنار المتقدة في الموقد.

ثم كسر الصمت قائلا:

«إنها مسألة معقدة فعلا. أود التحقق من آلاف التفاصيل قبل أن أقرر الخطوات التالية. لكن علينا أن نسرع. أيمكننا رؤية الغرفتين غدا في ستوك موران من دون علم زوج والدتك؟»

«سيكون خارج المنزل طوال النهار على الأرجح».

سأل شيرلوك هولمز بعدما غادرت وقد جلس مجددا في كرسيه: «ما رأيك يا واتسون؟»

«تبدو لي أكثر القضايا غموضا ودناءة».

«إذا ما جمعت بين الصفرات الليلية ووجود زمرة من الغجر مقربة جدا من الطبيب العجوز وكون هذا الأخير له مصلحة في الحؤول دون زواج ابنة زوجته والإشارة الأخيرة إلى الشريط وأخيرا سماع الآنسة هيلين ستونر رنينا معدنيا لعله ناجم عن وقوع أحد القضيبين الحديدين في قفل الباب، كلها عناصر تجعلنا نظن أن مفتاح اللغز في هذا السياق».

«لكن ما دور الغجر في الموضوع؟»

«لا أعرف».

«ثمة عوائق كثيرة أمام هذه النظرية».

«صحيح. لذا سنذهب إلى ستوك موران. لكن ما هذا بحق الله!»

بالفعل، انفتح الباب فجأة ودخل رجل عملاق يلبس زيا هو مزيج من زي رسمي وزي زراعي.

سأل:

«أي منكما هولمز؟»

أجاب صديقي بهدوء: «أنا سيدي».

«أنا الدكتور غريمبي رويلوت من ستوك موران».

أجاب هولمز مجددا بلطف:

«بالفعل، دكتور. تفضل بالجلوس».

«لن أفعل. لقد أتت ابنة زوجتي إلى هنا. لقد تقفيتها. ماذا قالت لك؟»

«الطقس بارد بعض الشيء بالنسبة إلى هذا الوقت من السنة».

صرخ الرجل العجوز غاضبا:

«ماذا قالت لك؟»

تابع صديقي برباطة جأش:

«لكن قيل إن موسم الزعفران جيد».

تقدم الزائر أكثر قائلا:

تريد إغضابي!

أعرفك جيدا أيها النذل!

سمعت عنك من قبل. هولمز المتطفل».

ابتسم صديقي مضيفا:

«هولمز الفضولي!»

ومبتسما أكثر فأكثر:

«حديثك مسل جدا. اقفل الباب وراءك من فضلك عندما تخرج لأن هناك تيار هواء».

«سأخرج بعد أن أقول ما عندي. إياك أن تتدخل في شؤوني. أعرف أن الآنسة ستونر كانت هنا، لقد لحقت بها!

إني رجل خطر ولا أنصحك بالتلاعب معي!

أنصحك بتفادي الوقوع في قبضتي».

قال هذا ثم غادر الغرفة.

فعلق هولمز ضاحكا على الموضوع: «يبدو لطيفا جدا».

حالفنا الحظ في واترلو بأن لحقنا بقطار ليثرهيد. امتدت الرحلة أربعة أو خمسة أميال وسط حقول سوريه الرائعة.

كان يوما جميلا تستطع فيه الشمس بين سحابات خفيفة في السماء. جلس صديقي في مقدمة المقصورة مكتف اليدين، مرخيا قبعته على عينيه، ملقيا ذقنه على صدره، ومستغرقا في أفكار عميقة.

لما وصلنا، ترجلنا من المقصورة بعد أن سددنا الأجرة، بينما تابع القطار طريقه إلى ليثرهيد.

«طاب يومك آنسة ستونر. لقد وفينا بوعدنا كما ترين».

كانت زبونة هذا الصباح قد سارعت إلى لقائنا والفرح باد على وجهها.

«كنت بانتظاركما».

سلمت علينا بحرارة واضحة ثم أردفت:

«كل شيء على ما يرام؛ الدكتور رويلوت ذهب إلى البلدة ولن يعود قبل المساء».

قال هولمز:

«لقد حصل لنا شرف التعرف إليه».

وروى لها بإيجاز ما حصل بعد رحيلها. فاصفرت الآنسة ستونر لسماعها الخبر.

«يا إلهي! تبعني إذاً!»

«نعم على ما يبدو».

«إنه خبيث لدرجة أني لا أطمئن أبدا لوجودي معه. ماذا تراه يقول عندما يعود؟»

«عليه التنبه لأنه قد يجد من هو أخبث منه. علينا الآن ألا نضيع الوقت، فهلا اصطحبتنا إلى الغرف لنعاينها؟»

كان البناء رمادي اللون فيه قسم مركزي كبير وجناحان محاذيان في كلا الجانبين. وبدا زجاج النوافذ محطما في أحد الجناحين وقد استبدل بألواح خشبية.

لم يكن هناك أثر لأي عامل أثناء زيارتنا. أخذ هولمز يروح ويجيء على مهل حول البناء مراقبا النوافذ من الخارج بعناية بالغة.

«أعتقد أن هذه هي الغرفة حيث كنت تنامين وتلك الوسطى غرفة شقيقتك وتلك على محاذاة البناء المركزي غرفة الدكتور رويلوت؟»

«بالضبط لكني أنام الآن في الغرفة الوسطى».

«على فكرة، لا يبدو أن هناك حاجة ملحة إلى ترميم الجدار».

«صحيح. أعتقد أنه مجرد عذر لنقلي من غرفتي».

«هذا ملفت للنظر. يقع الممر الذي تفضي إليه جميع هذه الغرف في الجهة الأخرى من هذا الجناح الضيق. فيه نوافذ طبعا؟»

«نعم، لكنها صغيرة جدا، لا يستطيع أحد المرور عبرها».

«من المستحيل إذاً الاقتراب من غرفتيكما من هذه الناحية بما أنكما توصدان الباب ليلا. هلا ذهبت إلى غرفتك وأقفلت المصراعين؟»

هكذا فعلت، وتبين لهولمز إثر معاينة دقيقة أنه ما من فتحة صغيرة لإدخال سكين وفتح المصراعين.

قال: «لا شك أن إثبات نظريتي صعب بعض الشيء. لا أحد يمكنه فتح المصراعين بعد إقفالهما. فلنعاين الغرفة من الداخل، علها تلقي بعض الضوء على المسألة».

رفض هولمز معاينة الغرفة الثالثة فانتقلنا مباشرة إلى الغرفة الثانية ثم إلى الغرفة التي تنام فيها حاليا الآنسة ستونر وحيث لقيت شقيقتها مصيرها المشؤوم. كانت غرفة عادية صغيرة، ذات سقف متدن وموقد، مبنية على طراز المنازل الريفية.

ولم يكن فيها إلا القليل من الأثاث. تناول هولمز أحد الكراسي ووضعه في أحد الزوايا ثم قبع صامتا يجيل نظره في كافة أرجاء الغرفة، متمعنا في أدق تفاصيلها.

سأل بعد أن لاحظ وجود حبل جرس قرب السرير: «إلى أين يصل هذا الجرس؟»

«إلى غرفة مديرة المنزل».

«يبدو أجدد من الأغراض الأخرى».

«نعم، وضع هنا قبل بضع سنوات».

«بناء على طلب شقيقتك؟»

«لا، لم تستعمله يوما».

«في الواقع، من المستغرب وضع جرس جميل كهذا هنا. المعذرة لحظة كي أتحقق من الأرضية».

تمدد على الأرض وعدسته المكبرة في يده يصول ويجول على الأرضية يدقق في الفجوات بين الألواح.

ثم فعل الشيء نفسه مع كل الأثاث الخشبي في الغرفة.

همس: «غريب!

ثمة أمر أو أمران يثيران التعجب في هذه الغرفة.

أي أحمق مثلا يضع مهواة تفضي إلى غرفة ثانية، علما أنه كان من الأسهل عليه وضع مهواة تفضي إلى الخارج!»

أجابت الآنسة:

«إنه تصميم حديث».

كانت غرفة الدكتور رويلوت أوسع من السابقتين وفيها نفس كمية الأثاث. جال هولمز فيها على مهل معاينا أدنى التفاصيل فيها باهتمام شديد.

عندما وصل إلى الخزنة، سأل:

«ماذا فيها؟»

«أوراق خاصة بعمل زوج والدتي».

«لقد رأيت ما فيها إذاً».

«مرة واحدة فقط قبل سنة تقريبا. أذكر أنها مليئة بالأوراق».

«ليس فيها هر مثلا؟»

«لا، يا لها من فكرة!»

«انظري!»

تناول وعاء حليب صغير موضوع فوقها.

«ليس من هر هنا لكن لديه فهد ورباح».

«نعم، صحيح!

أريد أن أتحقق من نقطة أخيرة».

اقترب من الكرسي الخشبي وعاين مقعده بدقة بالغة.

ثم نهض وقال وهو يعيد عدسته المكبرة إلى جيبه:

«شكرا. سويت المسألة. ما هذا!

إنه أمر مثير للاهتمام!»

لقد لفت نظره سوط كلب صغير عند إحدى زوايا السرير. لكنه كان ملفوفا ومعقودا على شكل حلقة.

«ما هذا برأيك يا واتسون؟»

«إنه سوط عادي. لكن لم تراه معقودا؟»

«هذا غريب، أليس كذلك؟

يا له من عالم فاسد، وأسوأ ما فيه عندما يوظف رجل قطن ذكاءه لارتكاب الجرائم. لقد اكتفيت آنسة ستونر، ولو سمحت نود الخروج قليلا إلى المرج».

جلنا عدة مرات في المرج لكن لا الآنسة ستونر ولا أنا أردنا تعكير أفكاره قبل أن يقرر هو ذلك.

«من المهم جدا آنسة ستونر أن تتبعي إرشاداتي بخذافيرها».

«سأفعل».

«الأمر لا يتحمل التردد. حياتك وقف على امتثالك لها».

«مصيري بين يديك».

«علينا أولا أن نمضي وصديقي الليلة في غرفتك».

تعجبت كما الآنسة ستونر لهذه الفكرة.

«هذا ضروري جدا، سأشرح لك السبب. أعتقد أن هذا نزل البلدة هناك؟»

«نعم، نزل كراون».

«حسنا. أيكمن رؤية نوافذك من هناك؟»

«طبعا».

«لازمي غرفتك مدعية أنك تعانين من صداع عندما يعود زوج والدتك. وحالما تسمعينه يخلد إلى غرفته، افتحي مصراعي نافذتك وأنيري المصباح كإشارة لنا ثم انسحبي مصطحبة معك ما قد تحتاجينه إلى الغرفة التي كنت فيها سابقا. أعتقد أن ذلك ممكن لليلة واحدة برغم أعمال الترميم».

«نعم، بالتأكيد».

«دعي الباقي علينا».

«ماذا ستفعلان؟»

«سنمضي الليلة في غرفتك لنتحقق من الصوت الذي يزعجك».

أجابت الآنسة ستونر ممسكة بذراع صديقي:

أعتقد أن لديك فكرة عما هو».

«ربما».

«هلا قلت لي إذاً ما سبب وفاة شقيقتي؟»

«أفضل انتظار البراهين قبل أن أحكم».

«قل لي على الأقل هل شكوكي في محلها وهل توفيت بسبب صدمة رعب؟»

«لا، لا أعتقد. حان الوقت لنذهب، آنسة ستونر، الوداع وكوني شجاعة».

لم يكن من الصعب أن نجد غرفة نوم وغرفة جلوس في نول كراون. كانتا في الطابق الثاني، قبالة الجناح المسكون في منزل ستوك موران. عند الغسق، شاهدنا الدكتور رويلوت يعود إلى المنزل.

جلسنا في الظلمة فقال «لي هولمز»:

أتعلم يا واتسون، أخشى قليلا اصطحابك معي الليلة. فالموضوع لا يخلو من الخطر».

«هل لي دور؟»

«وجودك سيكون ثمينا».

«سأذهب إذاً».

«هذا لطف منك. كنت أعلم أننا سنجد مهواة حتى قبل أن نصل إلى ستوك موران».

«بالله عليك هولمز!»

«أقسم لك. أتذكر أنها قالت في شهادتها إن شقيقتها كانت تشم رائحة سيجار الدكتور رويلوت؟

مما يعني أن ثمة فتحة بين الغرفتين، فتحة صغيرة على الأرجح وإلا لكان المحقق لاحظ وجودها. فاستنتجت أنها مهواة».

«وما الغريب فيها؟»

«الواقع أن تزامن بعض الأمور هو الغريب. تلك المهواة والحيل ووفاة الشابة وهي نائمة في سريرها. أليس هذا غريبا؟»

«لست أرى أية علاقة حتى الآن».

«ألم تلاحظ شيئا بشأن السرير؟»

«لا».

«إنه مثبت في الأرض. أرأيت يوما سريرا مثبتا في الأرض مثله؟»

«إطلاقا».

«لم يكن باستطاعة الشابة نقل سريرها بحيث يبقى دائما في نفس الوضعية بالنسبة إلى المهواة والحبل».

صرخت عندها: «أعتقد أني بدأت أفهم إلام تلمح يا هولمز. جئنا في الوقت المناسب لتفادي وقوع جريمة حذقة ورهيبة».

«حذقة ورهيبة جدا. فهذا الطبيب يملك أعصابا فولاذية ومعرفة واسعة، إنه يسدد ضربات موجعة لكني أعتقد أننا سنسدد له ضربة موجعة أكثر يا واتسون.

أما الآن، فلندخن الغليون بهدوء ونحاول الترويح قليلا عن أنفسنا بانتظار ساعة الصفر».

في الساعة التاسعة تقريبا، أطفئت الأنوار بين الأشجار وغرق المنزل في ستوك موران في العتمة. مرت ساعتان حتى قرابة الحادية عشرة عندما أنير فجأة ضوء واحد قبالتنا.

نهض هولمز على عجل:

«إنها الإشارة آتية من النافذة الوسطى».

بينما كنا نهم بالدخول عبر النافذة، ظهر من خلف شجيرات الغار ما يشبه طفل مشوه بشع، ارتمى على العشب أمامنا ثم أخذ يعدو بسرعة في المرج إلى أن ابتلعه الظلام.

همست لصديقتي:

«يا إلهي! أرأيت هذا؟»

كان هولمز مذعورا مثلي. لكنه سرعان ما أخذ يضحك بصوت خافت شارحا لي ما حصل.

«إنه الرباح».

أعترف أني لم أشعر بالارتياح إلا بعدما حذوت حذو هولمز وخلعت حذائي ووصلت إلى الغرفة. أقفل صديقي المصراعين من دون أن يحدث أية ضجة، ثم نقل المصباح إلى الطاولة وأجال نظره في الغرفة من حوله. وهمس قائلا:

«إن أدنى صوت يقضي علينا».

هززت رأسي علامة الموافقة.

«سنقبع هنا في الظلمة ونراقب ما يحصل عبر المهواة».

هززت رأسي مجددا.

«حاول ألا تنام لئلا تعرض حياتك للخطر. جهز مسدسك لربما احتجنا إليه، سأجلس أنا عند طرف السرير وأنت على الكرسي».

أخرجت عندها مسدسي ووضعته على طرف الطاولة.

فجأة لمع ضوء عبر فجوة المهواة سرعان ما تلاشى، تبعته رائحة زيت يحترق ومعدن سخن.

لا شك أن أحدهم قد أنار مصباحا في الغرفة المجاورة. سمعت بعدها حركة ثم صمت لكن الرائحة ما انفكت تزداد شيئا فشيئا. جلست وكلي آذان صاغية لنصف ساعة تقريبا. لكن صوتا آخر عكر هذا الصمت فجأة، صوتا رقيقا جدا أشبه بصوت البخار. وحالما تبادر إلى مسامعنا، نهض هولمز من على السرير وضغط بقوة على حبل الجرس بواسطة عصاه.

صرخ: «أترى هذا يا واتسون؟ أتراه؟»

لم أكن أرى شيئا ما خلا وجهه الشاحب المذعور والمشمئز.

توقف عن شد الحبل وراح يحدق في المهواة عندما مزقت صرخة رهيبة سكون الليل؛ صرخة يقال إنها قضت مضاجع الناس النيام حتى في آخر البلدة. تجمد الدم في عروقنا ومكثت أنظر إلى هولمز، وهولمز ينظر إليَّ إلى أن تلاشت آخر أصدائها كما ظهرت.

«ما معنى هذا يا ترى؟»

أجاب هولمز: «معناه أن كل شيء قد انتهى. لعل هذا أفضل. أحضر المسدس، سنذهب إلى غرفة الدكتور رويلوت».

أنار المصباح وانتقلنا معا على نوره عبر الممر، قرع الباب مرتين لكن أحدا لم يجب، ففتحه ودخل ثم تبعته حاملا المسدس المصوب في يدي.

كان مشهدا فظيعا لم أر مثله في حياتي. كان الدكتور رويلوت جالسا على الكرسي الخشبي قرب الطاولة، مدثرا في عباءة رمادية طويلة.

وقد علا حاجبيه شريط أصفر اللون غريب عليه رقط بنية مربوطه

على رأسه بإحكام. لم يتحرك عندما دخلنا الغرفة ولا نبس ببنت شفة.

همس هولمز: «الشريط! الشريط المرقط!»

تراجعت خطوة إلى الوراء. وفجأة، بدأ غطاء رأسه الغريب يتحرك وظهر من بين شعره أفعى كريهة ذات رأس ألماسي الشكل وعنق منتفخ.

صرخ هولمز: «إنها أفعى المستنقعات، الأكثر فتكا في الهند، لقد توفي بعد عشر ثوان على لسعتها، هكذا ينقلب السحر على الساحر ومن حفر حفرة لأخيه لا بد وأن يقع فيها.

فلنعد الأفعى إلى مأواها ونصطحب الآنسة ستونر بعدها إلى مأوى آمن، ثم نعلم الشرطة بما حصل».

هذه هي وقائع وفاة الدكتور رويلوت من ستوك موران. لا داعي لأطيل سرد قصة طويلة بما يكفي لأطلعكم على كيفية نقل الخبر للشابة المذعورة وكيف نقلناها على متن القطار الصباحي إلى عناية خالتها في هارو وكيف توصل التحقيق الرسمي البطيء إلى استنتاج مفاده أن الدكتور رويلوت لاقى حتفه بينما كان يعبث بحيوان خطر. وقد أطلعني شيرلوك هولمز على ما فاتني من تفاصيل في طريق العودة في

اليوم التالي.

«لقد استرعت المهواة انتباهي في الحال إضافة إلى حبل الجرس المتدلي فوق السرير. وتفاقمت شكوكي عندما اكتشفت أن السرير مثبت في الأرض، فأدركت أن الحبل إنما يصلح كجسر لمرور شيء ما عبر الفجوة وصولا إلى السرير.

وسرعان ما تبادرت إلى ذهني فكرة الأفعى. وهذا إضافة إلى علمي باستيراد الدكتور رويلوت حيوانات من الهند، جعلني أتأكد أني على الطريق الصحيح. وبدت لي فكرة استعمال نوع سم لا تكشفه أية تحاليل مخبرية فكرة سديدة قد تتبادر إلى ذهن أي إنسان حذق. كما أن سرعة مفعول السم مفيدة في هذا السياق.

«فكرت بعدها بالصفرة. عليه طبعا إعادة الأفعى إلى مأواها قبل طلوع الفجر لئلا تراها الضحية. لقد مرئها بواسطة الحليب على الأرجح كما تبين لنا، كي تعود إليه حالما يستدعيها.

كان يمررها عبر المهواة في الوقت المناسب بحيث تزحف على امتداد الحبل وصولا إلى السرير. قد تلسع من فيه أو لا تلسعه، وهي

إن أفلتت منها لبضع ليال، ستقع ضحية لسعها عاجلا أم آجلا.

«توصلت إلى هذه الاستنتاجات حتى قبل أن أدخل الغرفة، فقد أثبتت معاينة كرسيه أنه كان يقف عليها للوصول إلى المهواة طبعا. كما أن وجود الخزنة ووعاء الحليب كانا كافيين لتبديد أية شكوك كانت لا تزال تساورني أما الصوت المعدني الذي سمعته الآنسة ستونر، فناجم عن إقفال الدكتور رويلوت الخزنة على عجل على الأفعى. حالما تأكدت من كل هذا، أنت تعلم الخطوات التي اتخذتها لإثبات ذلك. ولما سمعت فحيح الأفعى، مثلك تماما كما أظن، أضأت المصباح فورا وضربتها بالعصا».

«فجعلتها تعود أدراجها عبر المهواة».

«وجعلتها أيضا تنقلب ضد سيدها في الجهة الأخرى، لا شك أني بالتالي مسؤول مباشرة عن موت الدكتور رويلوت لكني أعترف أن ذلك لن يعذب ضميري كثيرا».

تمّت

مغامرات شيرلوك هولمز

المنزل الفارغ

تأليف

آرثر كونان دويل

في ربيع العام ١٨٩٤م، كان شغل لندن الشاغل مقتل رونالد أدير المحترم في أغرب الظروف. كانت الجريمة مهمة بحد ذاتها لكن اهتمامي بها لا يوازي الأثر الخيالي لأكبر صدمة ومفاجأة في حياتي المليئة بالمغامرات.

لقد جعلتني صداقتي الوثيقة مع شيرلوك هولمز أهتم كثيرا بالجرائم، بحيث ثابرت حتى بعد اختفائه على متابعة مختلف المشاكل التي تظهر إلى العلن، حتى أني حاولت أكثر من مرة استعمال مناهج عمله لحلها مع أني لم أنجح أبدا.

إلا أن مأساة رونالد أدير هي أكثر القضايا التي لفتت انتباهي. قرأت تفاصيل التحقيق الذي خلص إلى أنها جريمة متعمدة اقترفها شخص أو عدة أشخاص مجهولين؛ فأدركت عندها أكثر من أي وقت مضى فداحة خسارة شيرلوك هولمز.

روبرت أدير هو ثاني أبناء إيرل مايغوث، حاكم إحدى المستعمرات الأسترالية في حينه. وقد عادت والدة أدير من أستراليا للخضوع

لعملية السد (إعتام عدسة العين) وسكنت مع ابنها رونالد وابنتها هيلدا في ٤٢٧ بارك لين.

وكان رونالد أدير مخطوبا للآنسة إديت وودلي من كارسترز لكنهما فسخا الخطوبة بالتراضي قبل بضعة أشهر من غير أن يؤثر ذلك عليه كما يبدو. ومع ذلك، كان هذا الأرستقراطي الشاب على موعد مع الموت في أغرب الظروف بين العاشرة والحادية عشرة والثلث ليلة ٣٠ آذار (مارس) ١٨٩٤م.

رونالد أدير مولع بلعب الورق لكنه لا يراهن أبدا على مبالغ طائلة توقعه في المشاكل. كان عضوا في نوادي بلدوين وكافنديش وبغانيل.

وأفيد أنه لعب يوم وفاته مباراة هويست مؤلفة من ثلاث دورات في النادي الأخير. لقد خسر باوندات ربما لكن ليس أكثر.

عشية الجريمة، عاد أدير من النادي في تمام العاشرة. وكانت والدته وشقيقته يمضيان السهرة مع أحد الأقارب.

وتقول الخادمة إنها سمعته يدخل إلى الغرفة الأمامية، في الطابق الثاني، التي تستعمل عادة كغرفة جلوس. وكانت قد أشعلت الموقد

هناك وفتحت النافذة كي يتسرب الدخان منها. لم تسمع أي صوت حتى الحادية عشرة والثلث تقريبا عندما عادت الليدي ماينوث وابنتها. حاولت الوالدة الدخول إلى غرفة ابنها لتلقي عليه التحية قبل أن تخلد إلى النوم. عبثا حاولت فتح الباب، كان موصدا ولا من يجيب على صراخها وقرعها المتواصل.

فاستدعيت النجدة وفتح الباب وإذا بالشاب المسكين مستلق قرب الطاولة وقد شوهت رصاصة مسدس رأسه بشكل فظيع، من غير أن يتم العثور على أداة الجريمة. ووجدت على الطاولة حزمتا أوراق مالية مكدسة حسب قيم مختلفة.

إضافة إلى بعض الأرقام المدونة على ورقة قرب أسماء بعض زملاء أدير في النادي؛ مما يعني أنه كان يجري جردة ربح وخسارة في لعب الورق قبل موته.

ولم تنجح معاينة ظروف الحادث بدقة إلا في تعقيد المسألة أكثر. فما من سبب دفع الشاب إلى إقفال بابه عن الجانب. ويبدو أنه هو من أوصده. لكن كيف توفي؟

لدينا الجثة ولدينا رصاصة المسدس التي أحدثت الإصابة وأودت بحياته. هذه باختصار ظروف لغز بارك لين المحير التي زادت تعقيدا بفعل غياب أي دافع للجريمة، خاصة وأنه ليس لأدير أعداء ولم يحاول أحد المساس بالمال أو الأغراض الثمينة الموجودة في الغرفة.

أمضيت النهار بأكمله أراجع الوقائع، محاولا إيجاد نظرية تربط في ما بينها، من دون جدوى.

فقررت في المساء أن أخرج إلى بارك لين ووصلت في السادسة تقريبا إلى شارع أكسفورد في نهاية بارك لين. هناك صادفت رجلا طويل القامة نحيلا يضع نظارات ملونة أعتقد أنه تحر يطلق نظرية خاصة به بينما احتشد الآخرون حوله يصغون إلى ما يقوله.

لكن ملاحظاته بدت لي فارغة من أي معنى، فانسحبت مشمئزا. وأنا كذلك، اصطدمت برجل عجوز فأوقعت بضع كتب كان يحملها.

لم تلق مشاهداتي في ٤٢٧ بارك لين الكثير من الضوء على المشكلة التي كنت في صددها. فعدت أدراجي إلى كنسنغتون.

وما هي إلا خمس دقائق على دخولي مكتبي حتى دخلت الخادمة

تعلمني بوصول زائر يطلب مقابلتي. فوجئت لرؤية مجتمع الكتب العجوز.

قال بصوت غريب خفيض أجش:

«لقد فاجأتك رؤيتي».

أعترف أني فوجئت.

«ضميري حي، سيدي. وعندما رأيتك تدخل هذا المبنى، قررت أن أتبعك وأقابل ذلك السيد اللطيف».

«هل لي أن أعرف كيف عرفت من أنا؟»

«الحقيقة أني جارك ومكتبتي الصغيرة موجودة عند زاوية شارع تشورش. تسرني كثيرا رؤيتك. لعلك تهوى جمع الكتب أنت أيضا؛ إليك هذه الكتب العصافير البريطانية وكاترلوس والحرب المقدسة، ستساعدك لملء الفراغ في الرف الثاني.

يبدو غير مرتب، أليس كذلك؟»

التفت لألقي نظرة عليه ولما التفت مجددا رأيت شيرلوك هولمز

واقفا أمامي يبتسم لي. نهضت بسرعة وأنا أحدق فيه للحظات والدهشة تعتريني.

ويبدو أني فقدت الوعي لأول وآخر مرة في حياتي لشدة تأثري. عندما استعدت وعيي، كان هولمز منحنيا فوق مقعدي والقارورة في يده.

قال بصوته المعهود:

«عزيزي واتسون، أنا مدين لك بألف اعتذار. لم أكن أعتقد أنك ستتأثر إلى هذا الحد».

فأمسكت يده قائلا:

«هولمز! أهذا أنت حقا؟

أيعقل أنك ما زلت حيا ترزق؟

أيعقل أن تخرج حيا من ذلك اللج العميق؟»

«مهلا. أواثق من أنك استعدت عافيتك؟

لقد سبب لك ظهوري المفاجئ صدمة كبيرة».

«أنا بخير. لكني بالكاد أصدق عيني».

أمسكت كمه مجددا فشعرت بيده النحيلة العصبية.

«لا، لست ظلا بل من لحم ودم».

جلس قبالتي وأشعل سيجارة كما اعتاد أن يفعل.

قال:

تسرني رؤيتك يا واتسون. أما بخصوص هذه المسألة ونظرا إلى ما توفر لدينا من معلومات، هل لي بطلب تعاونك مجددا؟

إن ليلة شاقة وطويلة بانتظارنا. ربما من الأفضل أن أسرد لك ما حصل لي بعد إنهاء المهمة».

«لا، فأنا أتحرق شوقا لسماعها الآن».

«أترافقني الليلة؟»

«متى شئت وأينما شئت».

«كما في الأيام الخوالي:

نتعشى أولا ثم ننطلق. بخصوص الهوة، لم أجد صعوبة في الخروج منها لأني، بكل بساطة، لم أنزل إليها».

«لم تنزل إليها؟»

«لا يا واتسون، لم أنزل إليها. لكن الرسالة التي كتبتها إليك صحيحة كليا. كنت قد تبادلت بعض الملاحظات مع البروفيسور موريرتي وتكرم عليَّ بالسماح لي بكتابتها.

تركتها مع علبة سجائري والعصا ثم انطلقت عبر الممر وموريرتي يتبعني. عندما وصلت إلى النهاية، اندفع صوبي وطوقني بكلتا ذراعيه الطويلتين. فهو أدرك أن لعبته انتهت وكل ما يهمه الانتقام مني. تشاجرنا عند حافة الهاوية.

لكني متمرس بعض الشيء في فن المصارعة اليابانية. فنجحت من الإفلات من قبضته، بينما فقد هو توازنه وهوى إلى الأسفل».

أصغيت باهتمام إلى شرح هولمز بين نفث سيجارة وأخرى.

«ماذا عن آثار الأقدام؟

رأيتها بأم عيني تقودان باتجاه واحد دون رجعة».

«حالما اختفى البروفيسور، أدركت أن الحظ حالفني. وكنت أعرف

تماما أن موريرتي ليس وحده من يريد الانتقام مني. وكلهم رجال خطرون، ولا شك أن أحدهم سينال مني في النهاية.

وقفت وراقبت الجدار الصخري خلفي. فإذا فيه بضع مواطئ قدم صغيرة وثمة ما يدل على وجود رف صخري. كان من المستحيل تسلق الرف لشدة ارتفاعه، كما من المستحيل أيضا أن أسير عبر الممر الرطب من دون أن أخلف آثارا على الأرض.

وأدنى خطأ مميت في هذه الحالة. حاولت جاهدا الارتقاء إلى الأعلى إلى أن وصلت إلى الرف الصخري وكان بعمق عدة أقدام ومكسوا بالعشب اليانع، حيث يمكنني أن أمكث بسلام بعيدا عن الأنظار.

في النهاية، بعدما انتهيتم جميعا من التوصل إلى استنتاجاتكم المغلوطة، غادرت الفندق وبقيت أنا وحدي.

تصورت أن هذه خاتمة مغامراتي لكن حدثا مفاجئا كذب اعتقادي. إذ هوت صخرة ضخمة من الأعلى وارتطمت قربي ثم بالعمر إلى أن استقرت أخيرا في الهوة.

ظننت للحظة أنها مجرد حادثة؛ لكن لما نظرت إلى فوق، رأيت رأس رجل تحت السماء السوداء. مما يعني أن موريرتي لم يكن لوحده.

نزلت مجددا إلى العمر، لكني انزلقت في منتصفه ولحسن حظي أني استقريت عند الممر ولم أصب إلا ببعض الجراح والنزيف.

ثم نهضت مجددا ومشيت عشرة أميال تحت جنح الظلام عبر الجبال إلى أن بلغت فلورنسا بعد أسبوع، وكلي ثقة أن أحدا في العالم لا يعرف مصيري.

«وحده شقيقي مايكروفت كان موضع ثقتي. أنا مدين لك بألف اعتذار يا صديقي واتسون لكن كان من الضروري جدا ألا يعرف أحدا أني لا زلت على قيد الحياة.

أردت عدة مرات في الثلاث سنوات الماضية أن أكتب إليك لكني كنت أخشى دائما أن يقودك عطفك عليَّ إلى زلة لسان تفضح أمري.

لذا انصرفت عنك هذا المساء عندما أوقعت كتبي لأني كنت في خطر ولأن أية مظاهر لمفاجأة أو انفعال من جانبك تلفت إلى هويتي وتقود إلى عواقب وخيمة.

ولم تسر الأمور على أكمل وجه في لندن بما أن اثنين من أخطر أعضاء موريرتي وألد عدوين لي أفلتا من العقاب. فسافرت مدة سنتين إلى التيبت، ثم إلى بلاد فارس، وزرت الخليفة في الخرطوم وقد أعلمت وزارة الخارجية بنتيجة جولتي هذه.

وعدت بعدها إلى فرنسا حيث أجريت بعض الأبحاث حول مشتقات الفحم في مختبر مونبلييه، جنوب فرنسا.

وبعدها أنهيت أبحاثي بنجاح وعلمت أنه لم يبق في لندن إلا عضو واحد من العصابة، واستعديت للعودة واستعجلتها أكثر حالما وردتني أنباء لغز بارك لين. فحضرت فورا إلى لندن».

هذا هو الحديث الشيق الذي أصغيت إليه عشية ليلة من ليالي نيسان (أبريل)، حديث لم أكن لأصدقه لولا وجد أمامي ذلك الوجه الذي ظننت أني لن آراه مجددا ما حييت. جرت الأمور كما في الماضي، حيث وجدتني جالسا قرب هولمز في العربة والمسدس في جيبي وحماسة المغامرة تختلج في صدري. كان هولمز باردا وهادئا وصامتا.

ظننت أننا سنتوجه مباشرة إلى شارع بيكر لكن هولمز أوقف العربة

عند زاوية ميدان كافنديش. ولاحظت أننا حالما ترجلنا من العربة، نظر يمنة ويسرة وتكرر هذا عند كل مفترق ليتأكد من أن أحدا لا يتبعه. سلكنا طريقا مميزة.

وقد أذهلتني معرفة هولمز بكل تشعبات الطرقات في لندن، فكان يمر بسرعة وثقة بالنفس عبر شبكة متداخلة من الشوارع الخلفية التي كنت أجهل حتى وجودها، ثم وصلنا إلى طريق ضيقة اصطفت على جانبيها منازل قديمة مترهلة، قادتنا إلى شارع مانشتير ومن ثَمَّ إلى شارع بلاندفورد.

سلكنا من هناك ممرا ضيقا ثم عبرنا بوابة خشبية أفضت إلى باحة خالية وفتحنا بعدها بالمفتاح الباب الخلفي لأحد المنازل. ودخلناه سويا ثم أقفلنا الباب خلفنا.

كان المكان غارقا في الظلمة لكن من الواضح أنه منزل خال. أمسك هولمز معصمي بأطراف أصابعه الباردة وقادني إلى غرفة فسيحة مربعة وفارغة بالكاد تنيرها الأضواء المنعكسة من الشارع. وضع صديقي يده على كتفي ودنا بشفتيه من أذني قائلا:

«أتعلم أين نحن؟»

أجبته وأنا أنظر عبر النافذة:

«لا شك أنه شارع بيكر».

«بالضبط. نحن في منزل كمدين قبالة مسكننا القديم. هلا اقتربت أكثر من النافذة يا عزيزي واتسون لكن من دون أن يراك أحد، وانظر من فضلك إلى غرفنا القديمة».

تقدمت قليلا ونظرت إلى النافذة المألوفة. حالما لمحتها، وثبت من مكاني لشدة دهشتي.

كانت الستائر مسدلة وضوء قوي يشع في الغرفة. وخلفها هيئة طبق الأصل لهولمز. تحسست بيدي الرجل الواقف قربي لأتأكد فعلا أنه معي. كان يضحك بصوت خافت.

«ما رأيك؟»

«يا إلهي! هذا رائع!»

«إنه مثلي تماما، أليس كذلك؟

يعود الفضل في تنفيذه للسيد أوسكار مونييه من مدينة غرونوبل الذي صنع القالب في غضون أيام. النصف العلوي مصنوع من الشمع. أما ما تبقى، فقد أعددته بنفسي خلال زيارتي لشارع بيكر بعد ظهر اليوم».

«لكن لماذا؟»

«لأني أريد يا عزيزي واتسون أن يعتقد بعض الناس أني هناك بينما أنا موجود في مكان آخر».

«كنت تظن أن أحدهم يراقب غرفك؟»

«كنت واثقا من ذلك». «ممن؟»

«أعدائي القدامى يا واتسون. تلك المنظمة التي يرقد زعيمها في شلالات ريشنباخ. إنه رجل خطر، يدعى باركر لكني لا أبه له بقدر ما آبه لمن هو وراءه أي صديق موريرتي الحميم الذي رمي الصخرة عليَّ وهو أخطر المجرمين وأبرعهم في لندن. إنه هو من يتبعني الليلة لكنه يجهل تماما أننا نتبعه بدورنا».

تكشف تدريجيا خطط صديقي هولمز. وقف صامتا بلا حراك لكن في حالة ترقب دائمة، وعيناه مسلطتان على سيل المارة في الشارع. وقد تململ أكثر من مرة بعبية وربت بأصابعه على الحائط، فأدركت مدى انزعاجه لأن خططه لم تسر كما كان متوقعا.

مع انتصاف الليل وخلو الشارع تدريجيا من المارة، بدأ يروح ويجيء في الغرفة بتوتر شديد.

أردت أن أقول له شيئا لكني فوجئت مرة جديدة عندما رفعت عيني إلى النافذة المنارة؛ فأمسكت بيد هولمز مشيرا إلى الأعلى.

«لقد تحرك الظل!»

وبالفعل لم نعد نرى جانبه بل ظهره الذي بات قبالتنا.

«تحرك طبعا. نحن هنا منذ ساعتين وقد غيرت السيدة هدسون وضعيته ثماني مرات أي مرة كل ربع ساعة تقريبا. وهي تفعل ذلك من الأمام بحيث لا يرى أحد ظلها».

كان كل شيء غارقا في الظلام وفي صمت عميق. لكن ما هي إلا لحظات معدودة حتى شدني هولمز إلى أحلك زاوية في الغرفة واضعا

يده المحذرة على شفتي. لم أر صديقي أبدا متوترا إلى هذه الدرجة، خاصة وأن الشارع المظلم كان لا يزال خاليا من أي شخص.

وأدركت فجأة ما أدركته قبلي حواسة المرهفة. إذ تناهى إلى مسامعي صوت خفيض ليس من شارع بيكر بل من خلف المنزل حيث اختبأنا.

ثم سمعنا بابا يفتح ويغلق، فوقع خطوات في الممر، يفترض أن تكون صامتة لكن المنزل الفارغ أرجع صداها. استند هولمز على الحائط وحذوت أنا حذوه ممسكا جيدا المسدس بيدي.

نظرت عبر الظلام فرأيت طيف رجل أكثر اسودادا من الباب المفتوح. كان على بعد ثلاث ياردات منا، فاستعديت لمواجهته ثم أدركت أنه لم يكن يلاحظ وجودنا.

مر بمحاذاتنا ونظر عبر النافذة ثم فتحها بهدوء من دون أن يحدث أدنى صوت بما يوازي نحو نصف قدم. ولما اقترب منها، انعكس الضوء الآتي من الشارع عليه، فكشف النقاب عن وجهه.

لاحظت أنه يحمل سلاحا ما في يده ذا عقب غريب. فتحه عند المؤخرة ووضع شيئا ثم أقفله مجددا.

ثم جلس القرفصاء وأسند طرف ماسورة البندقية على حافة النافذة المفتوحة. وسمعته بتنهد ارتياحا عندما أسند عقب السلاح على كتفه ورأى ذلك الهدف المثير، أي الرجل الأسود على الأرضية الصفراء، منتصبا أمامه على مرمى بندقيته.

ثم ضغط بإصبعه على زناد البندقية، وتبع ذلك صوت غريب لتحطم زجاج. فانتفض هولمز عندها كالنمر على ظهر القناص وأوقعه أرضا على وجهه. لكنه نهض بسرعة وأمسك هولمز من عنقه فتدخلت بدوري وضربته على رأسه بعقب مسدسي، فسقط مجددا على الأرض. سمعت بعد ذلك خطوات متلاحقة وإذا بشرطيين يدخلان الغرفة.

سأل هولمز:

«أهذا أنت يا لستراد؟»

«نعم، سيد هولمز. لقد توليت المهمة بنفسي. تسرني رؤيتك مجددا في لندن».

نهضنا جميعا عن الأرض بينما السجين يتنفس بصعوبة. وكان عدد من الفضوليين قد تحلقوا في الشارع، فتقدم هولمز من النافذة ليغلقها

ثم أسدل الستار. أما لستراد فقد أحضر شمعتين إضافة إلى مصابيح الشرطيين. فاتضحت جلية معالم وجه السجين.

بادر هولمز إلى القول:

«لم أعرفكم بعد على بعضكم. أقدم لكم الكولونيل سيبستيان مـوران، عضو سابق في الجيش الهندي الملكي وأفضل الرماة في الإمبراطورية. لا أبالغ إن قلت يا حضرة الكولونيل إن سجلك حافل بعدد النمور التي قتلتها».

لم يجب الرجل العجوز بل ظل يحدق في صديقي بعينيه المتوحشتين وشاربه المنتصب؛ كان أشبه بالنمر هو الآخر.

لم يتمالك الكولونيل موران بعدها أعصابه فتقدم مهاجما هولمز في ثورة غضب، لولا منعه الشرطيان من ذلك.

قال هولمز:

«أعترف أنك فاجأتني قليلا. لم أتوقع أن تأتي إلى هذا المنزل الفارغ أمام هذه النافذة المطلة. تصورت أنك ستنفذ مهمتك من الشارع حيث كان صديقي لستراد وزميليه البارعين بانتظارك.

ما عدا ذلك، جرى كل شيء كما كان متوقعا».

التفت الكولونيل موران إلى التحري الرسمي قائلا:

«قد يكون إيقافي مبررا أو لا، لكن ما من سبب لأخضع لهزء ذاك الشخص. أنا في عهدة القانون ولتأخذ الأمور مجراها حسب الأصول القانونية».

أجابه لستراد:

«هذا منطقي جدا. هل من شيء نضيفه سيد هولمز قبل أن نغادر؟»

كان هولمز قد تناول السلاح الفتاك عن الأرض وأخذ يعاين آلية عمله.

«أريد أن أعرف فقط مبرر إيقافه».

«مبرر إيقافه؟

محاولة اغتيال السيد شيرلوك هولمز طبعا».

«لا يا لستراد. لا تقحمني في هذه المسألة. فأنت وحدك من ألقى القبض عليه. أهنئك على ذلك يا لستراد!

لقد نجحت في القبض عليه بفضل براعتك وشجاعتك».

«القبض عليه! من هو سيد هولمز؟»

«الرجل الذي تبحث عنه الشرطة من دون جدوى- الكولونيل سيبستيان موران الذي قتل رونالد أدير المحترم بإطلاق رصاصة عبر النافذة المفتوحة في الطابق الأمامي الثاني في ٤٢٧ بارك لين في ٣٠ من الشهر الماضي.

هذا هو مبرر إيقافه يا لستراد. أما أنت يا واتسون، إذا كان بإمكانك تحمل البرد جراء تلك النافذة المحطمة، أعتقد أن قضاء نصف ساعة في مكتبي بينما أدخن السيجار ستكون مفيدة جدا».

بقيت غرفنا على حالها تحت إشراف مايكروفت هولمز والسيدة هدسون. صحيح أنها مبعثرة جدا لكن كل شيء بقي مكانه كما في الماضي. وجدنا فيها شخصين:

السيدة هدسون التي انحنت لنا ترحيبا واللعبة الغريبة التي أدت دورا بارزا في مغامرة هذه الليلة.

«حسنا سيدة هدسون. أنا ممتن لك جدا على مساعدتك. أما أنت يا واتسون، فهل لي برؤيتك مجددا في مقعدك المعهود؟

ثمة نقاط أريد مناقشتها معك. ذاك الرجل هو أفضل الرماة في الهند وهناك قلة مثله فقط في لندن. هل سمعت باسمه من قبل؟»

«لا، إطلاقا».

«لكنه مشهور جدا! لكن إذا كنت أنكر جيدا، لم تسمع أيضا باسم البروفيسور جيمس موريرتي، أنبغ العقول المفكرة في هذا القرن. ناولني من فضلك فهرس السير الذاتية عن الرف».

تصفح الفهرس ببطء وهو مستلق في كرسيه ومدفنا سيجاره. ثم ناولني الكتاب الذي جاء فيه:

موران، سيبستيان، كولونيل. عاطل عن العمل. رائد سابق في بنغلور. مواليد لندن، ١٨٤٠م. ابن السير أغسطس موران، سفير بريطانيا السابق في بلاد فارس. تلقى دروسه في إيتون وأكسفورد. شارك في حمله جواكي والحملة الأفغانية وشرسياب وشيربور وكابول. مؤلفاته «لعبة محنكة في هملايا الغربية»، (١٨٨١م)؛ «ثلاثة أشهر في البرية»، (١٨٨٤م). العنوان: شارع كندويت. عضو في النادي الإنجليزي الهندي ونادي تاكرفيل ونادي باغاتيل للعب الورق.

وقد دون هولمز بخط يده على الهامش: ثان أخطر رجل في لندن.

«بعدما تقاعد من الخدمة، عاد إلى لندن فاتصل به البروفيسور موريرتي وأصبح رئيس أركانه لفترة. وكان موريرتي يسخو عليه بالمال واستعان به فقط لمهمة أو مهمتين بالغتي الأهمية، يعجز المجرم العادي عن تنفيذها.

لا شك أنك تذكر موت السيدة ستيوارت عام ١٨٨٧م. أنا واثق من أن لموران يد فيه مع أننا لا نملك أي إثبات. وهكذا أفلت الكولونيل من العقاب حتى بعدما تم تفكيك عصابة موريرتي. أتذكر عندما حضرت إلى عيادتك وأقفلت مصراعي النافذة خوفا من الرصاص؟

لا شك أنك استغربت تصرفي. لكني كنت واثقا مما أفعله، إدراكا مني لوجوده ولمهارته العالية في الرماية. حتى أنه تبعنا إلى سويسرا برفقة موريرتي ولا شك أنه هو من رمي على الصخرة قرب شلال ريشنباخ.

«ولما كنت في فرنسا، تابعت الأنباء عن كثب مترقبا أي فرصة للتخلص منه. لأن لا تقع لحياتي طالما أنه حر طليق في لندن. ولكن طيفه لاحقني ليلا نهارا بانتظار الفرصة السانحة، عاجلا أو آجلا،

لكن ما باليد حيلة. لم يكن باستطاعتي رميه بالرصاص وإلا لانتهيت أنا في السجن. ولا جدوى من إحالة القضية إلى القضاء طالما أني لا أملك أية براهين. على الانتظار. ومع وفاة رونالد أدير، عرفت أنها فرصتي للتحرك. فالكولونيل كان قد لعب بالورق مع الشاب وتبعه بعدما غادر النادي ثم أرداه عبر النافذة المفتوحة.

لا شك في هذا. قررت عندها أن أترك علامة مميزة خلف نافذتي وأن أعلم الشرطة بما يحيكه. ثم اتخذت أفضل مركز للمراقبة على ما أظن من دون أن يخطر ببالي أبدا أنه قد يختار الموقع نفسه. هل من إيضاحات أخرى عزيزي واتسون؟»

«نعم لم تقل لي بعد ما كان دافع موران لقتل رونالد أدير المحترم؟»

الوقائع واضحة. لقد فاز الكولونيل موران والشاب أدير بمبلغ كبير من المال.

لكن موران غش في اللعب لسوء الحظ. أعتقد أن أدير اكتشف ذلك يوم قتل وتحدث مع موران على انفراد مهددا بافتضاح أمره. فتصرف موران كما أظن، بما أن إقصاءه عن النوادي يعني هلاكه. فقتل أدير بينما كان يحاول احتساب المبلغ الذي عليه إعادته، لأنه رفض الاستفادة من

غش شريكه في اللعب.

فأوصد الباب كي لا تفاجئه والدته أو شقيقته. كل شيء واضح الآن؟»

«لا شك أنك اكتشفت الحقيقة كاملة».

«سيقرر هذا إثر المحاكمة. لكن مهما حصل، لن يعكر الكولونيل موران صفو عيشنا بعد الآن؛ أما سلاحه الشهير فون هيردر فسيزين متحف أسكوتلند بارد، بينما يتفرغ السيد شيرلوك هولمز مجددا لبحث تلك المشاكل الصغيرة التي تعيق بها الحياة المعقدة».

تمّت